# وسائل استثمار
# العمل الخيري وتنميته

## دراسة موضوعية في ضوء السُّنة النبوية

إعداد الدكتور/
شهاب الدين محمد علي أبو زهو

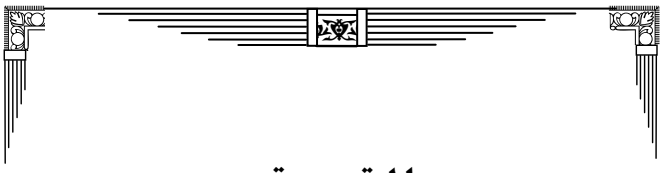

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وبعد.

فإن السنة النبوية الغراء قد عُنيت بالخير عناية فائقة، فَشرعتْ لنا الأصول والقواعد التي ينطلق علىٰ أساسها كل عمل خيري، فتقوم أركانه، ويَعْظُم بنيانُه، وتتنوع شُعَبُه، وتزكوا ثماره، وتمتد آثاره، وفي هذا للمجتمع ضمانٌ، أيُّ ضمانٍ للاستقرار. وكما أَظْهَرَ القرآن الكريم عناية فائقة في الدعوة إلىٰ العمل الخيري، فإن السُّنة المطهَّرَة كذلك قد حفلت بأحاديث لا تُحصىٰ كثرةً في الحث علىٰ العمل الخيري والعناية به، كما أن السُّنة المشرَّفة قد سلطت الأضواء الكاشفة علىٰ العمل الخيري، وأوضحتْ بجلاء سبل تطويره واستثماره وتوظيفه في خدمة المجتمع، كل ذلك بوسائل غاية في الكمال والدقة، تشمل الجوانب الإيمانية والوجدانية والاجتماعية والدعوية والفكرية والإعلامية. وفي هذا العصر الذي نعيشه نرىٰ ونسمع عن تسابق الدول والهيئات والمؤسسات وتنافسهم في الجوانب الخيرية والتطوعية التي تخدم المجتمع كل حسب نشاطه وتخصصه.

**ومن هنا جاء هذا البحث -بتوفيق الله تعالىٰ وفضله- للدعوة الكريمة من"كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرىٰ-مكة المكرمة**، وذلك ضمن لتعزيز رؤية المملكة ٢٠٣٠م والتي تهدف إلىٰ تمكين القطاع الخيري غير

الربحي، وتعزيز التعاون المشترك بين القطاعات الحكومية والأهلية، وتحفيز القطاع الخيري علىٰ تطبيق معايير الحوكمة الرشيدة وسميت هذا البحث: **"وسائل استثمار العمل الخيري وتنميته، ودورها في الإصلاح المجتمعي– دراسة موضوعية في ضوء السُّنة النبوية"**. رأيت أن ألقي في هذا البحث الضوء علىٰ مفهوم العمل الخيري والترغيب فيه، وإبراز طرق تنميته وتطويره واستثماره من خلال المنهج النبوي الكريم، مع ربط ذلك – ما أمكن – بالتطبيقات المعاصرة. **وجاءت خطة هذا البحث – الذي أرجو الله تعالىٰ له البركة والتوفيق – مشتملة علىٰ ما يلي:**

**المقدمة**: وتشتمل علىٰ بيان الغرض من هذا البحث وخطته.

**التمهيد**: ويشتمل علىٰ بيان أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، ومنهجيته.

**المطلب الأول: التعريف بالعمل الخيري، والأحاديث الواردة في الترغيب فيه،** وفيه مسألتان:

**المسألة الأولىٰ**: التعريف بالعمل الخيري.

**المسألة الثانية**: نماذج من الأحاديث الواردة في الترغيب في العمل الخيري.

**المطلب الثاني: وسائل استثمار العمل الخيري وتنميته في السنة النبوية،** وذلك من خلال ما يلي:

١- إدراج العمل الخيري ضمن مفهوم العبادة والإيمان.

٢- توظيف الطاقات والكفاءات فيما يناسبها من العمل الخيري.

٣- التعاون والجماعية في العمل الخيري.

٤- جودة العمل الخيري وإتقانه وإحسانه وأداؤه علىٰ الوجه الأمثل.

٥- الاهتمام بالأنواع الجارية والمستمرة من العمل الخيري.

٦- تكثير وتفريع شُعَب العمل الخيري.

٧- تنويع مصادر التمويل للأعمال الخيرية.

٨- الدعوة إلىٰ توريث الخبرات في العمل الخيري.

٩- التحذير من التخذيل عن الأعمال الخيرية.

**المطلب الثالث: نماذج مضيئة لاستثمار الأعمال الخيرية وتنميتها في العهد النبوي وما بعده.**

**الخاتمة**: وفيها أهم ما تضمنه البحث من نتائج وتوصيات.

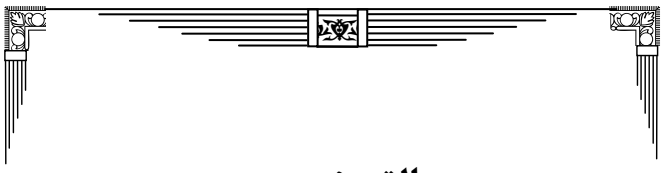

# التمهيد

### ۞ أهمية البحث:

١- أنه بحث حديثيٌّ لموضوع متعلق بإحدىٰ القضايا المهمة في المجتمع المسلم خاصة والإنساني عامة.

٢- أنه يستقرئ الأحاديث المتعلقة بالموضوع ويسلط الضوء علىٰ المراد منها، مع ربطها بالواقع وتوظيفها في تقديم الرؤية الراشدة للمجتمع.

٣- إبراز ما تضمنته وتميزت به السنة النبوية في مجال العمل الخيري دعوةً ورعاية واستثمارًا.

٤- الإسهام في صد الهجمة الشرسة الموجهة ضد الإسلام ووصفه بأوصاف هو بريء منها، بل حقيقته علىٰ النقيض منها، مثل وصفه بأنه: "دين ليست له رسالة تخدم المجتمعات وتسهم في تطورها ورُقِيِّها".

### ۞ مشكلة البحث:

لا يخفىٰ علىٰ الباحثين في مجال العمل الخيري والعاملين فيه أنه يحتاج بصفة مستمرة إلىٰ التطوير الذي يواكب حاجة المجتمع ويلبي مطالبه، وهذا التطوير يستلزم البحث عن طرق استثمار الأعمال الخيرية، وتنميتها؛ حتىٰ تتسع دائرة عطاءاتها، وتغطي أوسع مساحة كيفًا وكمًّا، بل وتمتد عبر الأزمنة والأجيال

اللاحقة، ومن ثم فقد جاء هذا البحث ليحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما مدىٰ اهتمام السنة النبوية بالعمل الخيري في المجتمعات المسلمة خاصة والبشرية عامة؟

٢- ما سبل تطوير العمل الخيري واستثماره في السنة النبوية؟

٣- كيف كان النبي ﷺ يتعامل مع مشاريع العمل الخيري؟

**۞ أسباب اختيار البحث:**

١- انتشار الدعوة إلىٰ العمل الخيري في العصر الحديث وحاجة المجتمعات إليه.

٢- بيان براعة المنهج النبوي في الدعوة إلىٰ العمل الخيري.

٣- الإسهام في الكشف عن طرق استثمار العمل الخيري كما بينتها السنة المطهرة.

**۞ أهداف البحث:**

١- التعريف بالعمل الخيري واهتمام السنة النبوية بالترغيب فيه والحث عليه.

٢- الوقوف علىٰ ما ورد في السنة المطهرة حول طرق استثمار العمل الخيري.

٣- الإسهام في إبراز الدور العظيم للسنة النبوية في تنمية المجتمع وإقامته علىٰ أسس من التكافل الذي يشمل المسلمين وغيرهم ممن يعيشون في الدولة المسلمة.

### ❁ منهج البحث:

اتباع المنهج التأصيلي الاستقرائي التحليلي في بحث هذا الموضوع. فأما المنهج التأصيلي، فكان عند تعريف المصطلحات الخاصة بالبحث. وأما المنهج الاستقرائي، فيتمثل في اختيار ما صح من الأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع. وأما المنهج التحليلي، فيتمثل في تدبر الأحاديث النبوية وبيان هداياتها، إلىٰ جانب المنهجية المتبعة في البحوث، مع مراعاة أن مساحة البحث محدودة حسب الشروط المعلنة من طرف الجهة المنظمة للمؤتمر المبارك، وبالتالي سوف يختار البحث فقط نماذج من الأحاديث النبوية دون استقصاء الوارد منها في موضوعه.

### ❁ الدراسات السابقة:

هناك دراسات عديدة تناولت العمل الخيري من نواحٍ متعددة، ولا شك أن تلك الدراسات لها أهميتها، وتلتقي مع هذا البحث في أصل فكرته، وإن كان قد وقع بينها اختلاف في طريقة العرض والتناول والتفصيل والإيجاز، وذلك نظرًا لطبيعة كل دراسة منها إذْ إن بعضها رسالة علمية – ماجستير أو دكتوراه –، وبعضها كتاب علمي كبير، وبعضها أبحاث موجزة للترقية أو النشاط العلمي المجرد، ومع ذلك فقد استفاد الباحث من تلك الدراسات وكان لها فضل الريادة والتوجيه في هذا المجال، **ولعل من أهم تلك الدراسات**: رسالة ماجستير بعنوان: **العمل التطوعي في السنة النبوية**، إعداد الطالبة رندة محمد زينو، ويقع في ٢٢٥ صفحة، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين – قسم الحديث الشريف، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، وقد جعلته الباحثة دائرًا علىٰ أربعة فصول بدأتها ببيان أهمية العمل التطوعي في السنة النبوية، ثم الحديث عن مجالاته عامة، والاجتماعية والخدمية خاصة. وبحث بعنوان: **مجالات العمل التطوعي في السنة النبوية**، ويقع

في ١٤٠ صفحة، للدكتور محمد عبد الرازق أسود، منشور في حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية ( كلية دار العلوم - جامعة القاهرة – مصر، ٢٠١١م)، وقد جعله في عشرة مباحث تدور كلها حول ذكر مجالات العمل التطوعي الخدمي والتعليمي والاجتماعي والتثقيفي والصحي والعسكري... إلخ، وكتاب بعنوان: **أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية،** ويقع في ١٧٣ صفحة، وقد تناول الباحث الموضوع من عدة جوانب فبدأ ببيان ما يدل علىٰ أن العمل الخير من المقاصد الأساسية لشريعة الإسلام، ثم تكلم عن خصائص العمل الخيري في الإسلام، ومظاهره وأدلته من السنة النبوية، ثم أفرد فصلا للحديث عن المصادر التمويلية للعمل الخيري في الإسلام، ونماذج تطبيقية من الواقع التاريخي، وبعض الفتاوىٰ المتعلقة بالعمل الخيري المعاصر. وقد أقامت جامعة أم القرىٰ بمكة"المؤتمر العلمي الأول للخدمات التطوعية" في الفترة من (٢٧ -٢٩) جمادىٰ الآخرة ١٤١٨ هـ وأبرز البحوث التي لها صلة بموضوع بحثي: **الخدمات التطوعية في الكتاب والسنة** (مفهومها وأهميتها ومجالاتها). وبحث: **مشروعية الخدمات التطوعية في الكتاب والسنة ومُثلها من سيرة السلف الصالح**. وكلاهما من إعداد الدكتور: محمد سعيد بخاري. والعنوان الثاني نفسه بحث آخر لكل من الأستاذ: يوسف الحوطي، والأستاذ: خالد عسيري. وقد أقامت جمعية البر بالمنطقة الشرقية، اللقاء السنوي الرابع للجهات الخيرية بالمنطقة الشرقية، بعنوان: "استقطاب المتطوعين للعمل في الجهات الخيرية" في الفترة من ٢٩ شوال إلىٰ ٢ ذي القعدة ١٤٢٤ هـ، وأبرز البحوث التي لها صلة بموضوع بحثي: بحث: **الأعمال التطوعية في الإسلام**. من إعداد الدكتور: محمد القاضي. وبحث آخر بالعنوان نفسه. من إعداد الدكتور: إبراهيم البريكان. **وأما علاقة الدراسات السابقة بموضوع البحث:** فإنه مما ينبغي

التأكيد عليه أن الدراسات السابقة حتىٰ وإن كانت عن الأعمال الخيرية، إلا أنها لم تستوف الموضوع من جميع جوانبه، خصوصا صلب بحثنا وهو وسائل استثمار العمل الخيري وتنميته وأثرها في الإصلاح المجتمعي، وجاءت تلك الدراسات مقتصرة علىٰ بعض الجوانب فقط إما مفصلة أو موجزة؛ حسب طبيعة الأهداف التي كُتبتْ لأجلها، وبحثنا هذا يلتقي مع البحوث السابقة في بعض مسائلها إلا أنه تميز عنها بإفراد الحديث عن وسائل استثمار العمل الخيري وتنميته وأثرها في الإصلاح المجتمعي، وهو ما لم تتعرض له البحوث المشار إليها، اللهم إلا رسالة الماجستير المذكورة فقد تكلمت عن وسيلتين اثنتين من وسائل تنمية العمل الخيري وهما: العمل المؤسسي، والوقف الإسلامي. مع كل التقدير لمن أسهم في هذا المجال، والله لا يضيع أجر المحسنين.

## المطلب الأول

# التعريف بالعمل الخيري، والأحاديث الواردة في الترغيب فيه

### ❁ المسألة الأولى: التعريف بالعمل الخيري.

عَرَّفَ الباحثون العمل الخيري بتعريفاتٍ متنوعة[1]، وبعيدًا عن الإغراق في التعريفات بما لا يتناسب مع طبيعة مثل هذا البحث الذي بين أيدينا، فإننا نقتصر علىٰ التعريف التالي:

---

(١) للاستزادة ومطالعة بعض التعريفات، انظر: **مجالات العمل التطوعي في السنة النبوية**، للدكتور محمد عبد الرازق أسود، منشور في حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة – مصر، ٢٠١١م، (ص:٢٦٩ – ٢٧٤)، **العمل التطوعي في السنة النبوية**، رسالة ماجستير، إعداد الطالبة رندة محمد زينو، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين – قسم الحديث الشريف، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، **(ص:١٤)**. **التطوع للمصلحة العامة**: دراسة أصولية فقهية، د. صابر السيد مشالي، بحث منشور، موقع الألوكة، علىٰ الرابط: http://www.alukah.net/sharia/٠7/4068/#_ftn بتاريخ: ١٦/ ١١/ ٢٠٠٨ ميلادي – ١٧/ ١١/ ١٤٢٩ هجري."**العمل الخيري دراسة تفصيلية تاريخية**"، د. محمد صالح جواد مهدي، بحث منشور بمجلة"سر من رأىٰ"، كلية التربية جامعة سر من رأىٰ – المجلد ٨ / العدد ٣٠ / السنة الثامنة/ تموز ٢٠١٢م، صفحه ٢١٢.

**العمل الخيري:**

هو بذلُ الجهدِ الإنساني، بصورةٍ فردية أو جماعيَّةٍ لتحقيق مصلحة عامة أو خاصة، وأغراض إنسانية أو دينية أو علمية أو صناعية أو اقتصادية، من خلال عدة موارد، وصرفها في أوجه الأعمال الخيرية بقصد نشاط اجتماعي أو ثقافي، بطرق الرعاية أو المعاونة ماديًّا أو معنويًّا داخل الدولة وخارجها من غير قصد الربح لفاعليه، سواء سُمِّيَ إغاثة أو جمعية أو مؤسسة أو هيئة أو منظمة خاصة أو عامة.

**أو باختصار:** هو جهد مبذول، يعتمد علىٰ الخبرة، عبر وسائل متنوعة، بقصدٍ جلب المنفعة للمجتمع، دون مقابل.

**وتتجلىٰ أمامنا معالم العمل الخيري من خلال تعريفه حيث إنه:**

عمل اختياري يقوم به صاحبه من تلقاء نفسه، من غير إلزام ولا إيجاب، بل هو زيادة علىٰ الواجبات والفروض اللازمة، والعامل في هذا المجال الخيري لديه من الخبرات والإمكانات والكفاءة ما يؤهله لإتمام العمل الخيري المنوط به في جانبٍ معين علىٰ الوجه الأمثل، من خلال وسائل متنوعة تشمل كافة مجالات الحياة المادية والمعنوية، العامة والخاصة، فرديًّا أو مؤسسيًّا، يقصد من وراء ذلك توصيل المنفعة لمجتمعه والناس من حوله بل البشرية كلها، لا يريد من أحد جزاءً ولا شكورًا، سوىٰ ابتغاء مرضاة ربِّه الأعلىٰ، وشعاره في ذلك ما يقوله الأبرار حين يفعلون الخير كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

### ۞ المسألة الثانية: نماذج من الآيات والأحاديث الواردة في الترغيب في العمل الخيري

حَرِيٌّ بنا - في هذا الموضع - أن نشير إلىٰ أن الإسلام منذ ظهوره وفي مرحلة نشأته الأولىٰ التي كان بناء العقيدة فيها هو المهمة الكبرىٰ والأساسية قد اهتم بالعمل الخيري، وحث عليه ورغب فيه جنبًا إلىٰ جنْبٍ مع البناء العَقَدِيِّ للفرد المسلم والأُمَّة المسلمة، (والإسلام بهذه الصورة يؤكد علىٰ أمرين طبيعيين تدفع إليهما طبيعة الإنسان ووجوده الخاص: أحدهما: أن يعيش في الحياة ليحفظ لنفسه البقاء. والآخر: أن يشارك غيره في النشاطات المختلفة المحققة لصالح الجماعة والمجتمع)[1].

وقد وردت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية - مجملة ومفصلة - تأمر بالعمل الخيري وتحث عليه، وتنهىٰ عن ضده وتحذر منه، وتارة تمدح العمل الخيري ذاته، وتدعو إلىٰ المسارعة فيه والتعاون عليه، وأخرىٰ تشكر لفاعليه صنيعهم وتزكيهم، وتذم تاركيه وتبين شنيع فعلهم، ونسوق هنا طرَفًا من الآيات القرآنية علىٰ النحو التالي: بَيَّنَ الله تعالىٰ فضل التطوع بالعمل الخيري وجزاء فاعله فقال: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]. وقال سبحانه: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة:١٨٤]،

والتطوع في هاتين الآيتين عام يشمل جميع الخيرات وأنواع البِرِّ والطاعات. ومما يدل علىٰ عُلُوِ شأن العاملين في المجال الخيري أن الله تعالىٰ قد جعل أئمتهم

---

(١) انظر: "**جدد شبابك بالتطوع**"، إعداد/ محمد هشام أبو القمبز، بحث منشور علىٰ موقع صيد الفوائد www.saaid.net ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧م، ص٢٢.

في فعل الخير الأنبياء - عليهم السلام - فقال تعالىٰ في معرض حديثه عن الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء:٧٣].

وفَصَّل القرآن الكريم في ذكر بعض المجالات الخيرية وأنَّ القائم بها من أصحاب الميمنة الفائزين بالجنة الناجين من النار، فقال تعالىٰ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ [البلد:١١-١٨].

ويتبين لنا بجلاء أن الإسلام قد سبق في الدعوة إلىٰ العمل الخيري سبقًا بعيدًا (حتىٰ إن القرآن منذ عهده المكي لم يُغفل هذا الأمر الحيوي، بل أعطاه عناية بالغة، ومساحة واسعة. فمَنْ لَم يُطعم المسكين كان من أهل سَقَر المعذبين في النار، ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر:٤٣-٤٤]،

فجعل مصيرهم النار: لأنهم أضاعوا حق الله بإضاعة الصلاة، وأضاعوا حق عباده إذْ لم يُطعموا المسكين، وإطعام المسكين كناية عن رعاية ضروراته وحاجاته، إذ لا معنىٰ لأن نطعم المسكين وندعه مشرداً بلا مأوىٰ، أو عريانـًا بلا كسوة، أو مريضـًا بلا علاج. ولا يكفىٰ أن تُطعم المسكين، بل يجب أن تحمل نصيبك في الدعوة إلىٰ إطعامه، والحَضِّ علىٰ رعاية ضروراته وحاجاته: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون:١-٣] )[1].

(١) انظر: **ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده**، (ص: ١٣٦ – ١٣٧ و ١٥٣) بتصرف.

**وأما الأحاديث النبوية**

التي تحث علىٰ العمل الخيري، وتبين قضله وثوابه، فإنها كثيرة نسوق هنا طرَفًا منها علىٰ النحو التالي: عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنَّ النبي – ﷺ – قال: «**مَن نفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدُّنيا نفَّسَ اللهُ عنه كربةً من كُرَبِ يوم القيامةِ، ومَن يسَّرَ علىٰ مُعسِرٍ يسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر مسلمًا ستَره اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه**»، وفي رواية: «**ومن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه**»(١).

هذا حديث شامل للعمل الخيري في مناحي الحياة الاجتماعيَّة كافَّة بما يكون فيها من أحوال تَطْلُب تَطَوُّعَ المسلم لمساعدة أخيه المسلم، وفيه مسائل متعددة؛ منها: فضيلة من فرَّج عن المسلم كربة من كرب الدنيا، وتفريج الكرب باب واسع، فإنَّه يشمل إزالة كل ما ينزل بالعبد أو تخفيفه. ومنها: التَّيسير علىٰ المعسر هو أيضًا من تفريج الكرب، وإنَّما خصَّه لأنَّه أبلغ، وهو إنظاره لغريمه في الدين أو إبراؤه له منه أو غير ذلك)(٢). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – قَالَ: «**السَّاعِي عَلَىٰ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا**

(١) أخرجه مسلم في"صحيحه" في كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ – بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ (٤/ ٢٠٧٤ رقم٢٦٩٩)، والرواية الثانية عند البخاري في"صحيحه" في كِتَاب المَظَالِمِ – بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ (٣/ ١٢٨ رقم٢٤٤٢).

(٢) انظر: **التطوع للمصلحة العامة: دراسة أصولية فقهية**، د. صابر السيد مشالي، بحث منشور، موقع الألوكة، علىٰ الرابط:https://www.alukah.net/sharia/0/4068/#_ftn7 بتاريخ: ١٦/ ١١/ ٢٠٠٨ ميلادي – ١٧/ ١١/ ١٤٢٩ هجري.

**يُفْطِرُ**»[1]، (المراد بالساعي: الكاسبُ لهما، العاملُ لمؤونتهما)[2]. وعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: «**الْعَامِلُ فِي الصَّدَقَةِ بِالْحَقِّ لِوَجْهِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، كَالْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ**»[3]،

فاشترط - عليه الصلاة والسلام - لحصول المشروعية وترتب الثواب شرطين: قصد وجه الله تعالىٰ، والعمل علىٰ وفق المنهج الشرعي. والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرةٌ، تؤكِّد قيمةَ التطوُّع والعملِ الخيريِّ، والمسارعة إلىٰ الخيراتِ، والإسهام في نفع النَّاس والمجتمع.

(١) أخرجه البخاري في"صحيحه" في كِتَابُ الأَدَبِ بَابُ السَّاعِي عَلَىٰ الأَرْمَلَةِ (٨/ ٩ برقم٦٠٠٧)، ومسلم في"صحيحه" في كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ - بَابُ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ وَالْيَتِيمِ (٤/ ٢٢٨٦ رقم٢٩٨٢).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، (١٨/ ٣١٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٥/ ١٤٧ رقم١٥٨٢٦)، وأبو داود في"سننه" في كتاب الخراج - باب فِيْ السِّعَايَةِ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ (٣/ ٩٣ رقم٢٩٣٨)، والترمذي في"جامعه" في كتاب الزكاة - بَابُ مَا جَاءَ فِي العَامِلِ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ بِالحَقِّ (٢/ ٣٠ رقم ٦٤٥)، وابن ماجه في"سننه" في كتاب الزكاة - بَابُ مَا جَاءَ فِي عُمَّالِ الصَّدَقَةِ (١/ ٥٧٨ رقم ١٨٠٩)، وقال الترمذي:"حَدِيثٌ حَسَنٌ". وحَسَّنَه ابن حجر في"هداية الرواة إلىٰ تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة" (٢/ ٢٥١).

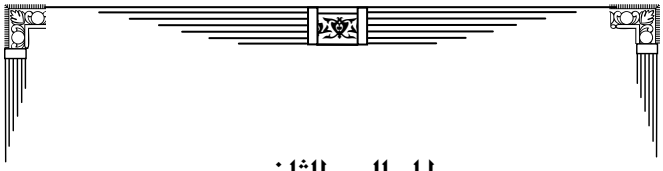

المطلب الثاني

## وسائل استثمار العمل الخيري وتنميته في السنة النبوية

اتخذ العمل الخيري وسائل متنوعة، وسَلَكَ طُرُقًا متعددة فرديةً وجماعيةً تتجاوب مع الشدائد والأزمات وتُخفف من آثارها، ولا يخفىٰ علىٰ الساعين لإحداث نهضة شاملة في أوطانهم، والعاملين في المجال الخيري خاصة أن تنويع وسائل العمل الخيري بوجهٍ عامٍّ (يجمعُ الطَّاقاتِ المُهدرةَ، ويسخِّرُها لخدمة البناءِ والتَّنميةِ الاقتصاديَّةِ من خلال المؤسَّساتِ والمنظَّماتِ والهيئات الخيرية؛ لذا حرَصت الدُّوَلُ المتقدِّمة علىٰ ترسيخ مفهوم العمل التطوُّعي، والحثِّ عليه بين جميع الفئات والشَّرائحِ الاجتماعية المختلفةِ، وخلق المناخ الملائم لتشجيعِ كلِّ الأفراد للعطاءِ والإبداعِ، وتخصيصِ إدارة عامَّةٍ متخصِّصةٍ لتحديد المجالات التي يمكِنُ من خلالِها التطوُّعُ والإبداع، وخلق الحوافز المادية والمعنوية؛ لرفع نسبة المتطوعين في شتَّىٰ المجالات؛ بذلك يرتبط مفهومُ العمل الخيريِّ والتطوُّعي بالتنمية الشاملة؛ من خلال مجموعِ الأعمال والبرامج التي تستهدف الإنسانَ وترقَىٰ به، ابتداءً من الفرد، ثم الأسرةِ، ثم تمتدُّ إلىٰ المجتمع؛ فصلاحُ الأسرةِ من صلاحِ الفردِ، وصلاح المجتمع من صلاح الأسرةِ)[1]. والناظر في

(١) انظر مقالة بعنوان:"**العمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة**"، للأستاذ/ أحمد مخيمر، علىٰ موقع الألوكة علىٰ الشبكة العنكبوتية، رابط المقالة: https://www.alukah.net/culture/0/42021/ .

كتب علمائنا وهم يتناولون قضايا العمل الخيري في مصنفاتهم، يجد أنهم يَعُدُّون **المشاركة فيه من فروض الكفاية التي يلزم أن يقوم بها جماعة من المسلمين،** (ففروض الكفاية فروض تكافلية تنموية، تصل بالأمة إلىٰ مرحلة الاكتفاء الذاتي، أو التنمية الذاتية، وحسن التوظيف لطاقاتها، وفوائضها المالية، أمر يخص الأمة كلها، ويتعلق بكيانها ومصلحتها، والمصلحة العامة مقدمة علىٰ المصلحة الخاصة، شرعا وعقلا)[1]، ومن أجل ما سبق فقد عُنِيَت السُّنة المطهرة بالعمل الخيري بتوجيه الأنظار نحو الاهتمام **بوسائل استثمار العمل الخيري وتنميته، وبيان دورها في الإصلاح المجتمعي،** وقد وردت عشرات الأحاديث الشريفة بنماذج عظيمة لهذه الوسائل التنموية للعمل الخيري، تَمَيَّزَتْ بتلبية الحاجات الاجتماعية، ومجاراة القدرات، والاستغلال الأمثل للإمكانات المتاحة في كل عصرٍ بما يناسبه، ولو أننا أحسنا الاستفادة من هذه الأحاديث الشريفة، وتوجيه معانيها لما يتوافق مع عصرنا الحالي لكان لذلك أبلغ الأثر وأعظم النتيجة في تنمية المجتمعات والإسهام في رُقِيِّها ونهوضها؛ وذلك لأن الناس يكونون أسرع استجابةً حينما يأتيهم الخطاب من القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة. **وحَرِيٌّ بنا أن نسجل هنا دعوة السُّنة المطهرة للابتكار والتجديد والتطوير في وسائل العمل الخيري** بما يتناسب مع الأزمنة المختلفة ويواكب أحوالها ويلائم المتغيرات والمستجدات، وذلك ما نلحظه في الحديث الشريف الْمَرْوِيّ[2]

---

(١) انظر: **إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق**، د. يوسف إبراهيم يوسف، كتاب الأمة رقم ٣٦، قطر، محرم ١٤١٤ه – ١٩٩٣م. ص ٢٤. انظر: **أصول الفقه**، د. محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة، بدون طبعة ولا تاريخ، (ص٣٤).

(٢) أخرجه مسلم في"صحيحه" في كتاب الزكاة، باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة (٣/ ٨٦ =

عن جرير رضي الله عنه أن النبي – ﷺ – قال: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**».

ومن الأحاديث الشريفة التي تندرج تحت المعنىٰ السابق: عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – قَالَ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**»(١)، **وأرىٰ – والله أعلم – أن التعبير بالاستطاعة في هذا الحديث يحمل معنىٰ رائقًا – بالإضافة إلىٰ المعنىٰ المتبادر إلىٰ الذهن** وهو مجرد النفع ولو كان تقليديًّا – وهذا المعنىٰ الرائق هو الإبداع والتفنن في ابتكار الوسائل المناسبة لنفع الناس حسب حاجاتهم وبيئاتهم من خلال خبرة هذا المتطوع المحتسب، وتبعًا لحماسته وإخلاصه وإقباله علىٰ هذا العمل وشعوره بقيمة ما يبذله. وفيما يلي تعداد لبعض هذه الوسائل الخيرية التي وردت بها الأحاديث الشريفة، وبيان لمنهجها في تنمية العمل الخيري، والله المستعان.

### ۞ أولًا: إدراج العمل الخيري ضمن مفهوم العبادة والإيمان.

من المهم جدًّا في مسيرة العمل الخيري وضمان تنميته باستمرار أن يتقرر في نفوس العاملين فيه أن تَطَوُّعَهم بخدمة مجتمعاتهم، والقيام بحقوق إخوانهم وأوطانهم، والوقوف معهم في الشدة والرخاء والعسر واليسر = جزءٌ من العبادة والإيمان، حينئذٍ يحرصون علىٰ العمل الخيري بكل سبيلٍ ممكنة، ويبذلون أقصىٰ طاقاتهم لأجله علىٰ الوجه الأمثل؛ ومن هنا فقد اهتمت السُّنة النبوية بتوسيع مفهوم العبادة وتخليصه من المعاني القاصرة عن الشمول، فأدخلت فيه القيام =

---

برقم: ١٠١٧).

(١) أخرجه مسلم في"صحيحه" في كتاب السَّلَامِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ (٤/ ١٤٢٦ رقم٢١٩٩).

بالواجبات الاجتماعية والأعمال الخيرية مما كان له أعظم الأثر في الإقبال عليها والإسهام في تنميتها،

**ومن الأحاديث الواردة في ذلك**: ما رواه مسلم في "صحيحه"[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**». ففي هذا الحديث الشريف قَرَنَ النبي - ﷺ - بين الإيمان ممثَّلًا في كلمة التوحيد، وبين العمل الخيري ممثَّلًا في إماطة الأذىٰ عن الطريق، حيث عَدَّ القيام بتجميل الطُّرق، والامتناع عن الإضرار بالناس فيها إحدىٰ شعب الإيمان، وهذا يدفع المسلم إلىٰ المشاركة في الأعمال الخيرية والإسهام في تنمية مجتمعه الذي يعيش فيه.

كما أن **القرآن الكريم قد وضع الأساس الإيماني للعمل الخيري** حين أمر بفعل الخير وقرن ذلك بالإيمان والعبادة، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]. (**إنّ كل عمل اجتماعي نافع يَعُدُّه الإسلامُ عبادةً مِن أفضل العبادات مادام قَصْدُ فاعلِه الخيرَ** لا تَصَيُّد الثناء واكتساب السُّمعة الزائفة عند الناس. كلُّ عمَلٍ يَمْسَح به الإنسانُ دمعة محزون، أو يخفف به كُربة مكروب، أو يُضَمِّد به جراحَ منكوب، أو يَسُد به رَمَقَ محروم، أو يَشُد به أَزْرَ مظلوم، أو يُقِيل به عَثْرَةَ مغلوب، أو يَقْضِي به دَيْن غارِمٍ مُثْقَلٍ، أو يأخذ بِيَدِ فقيرٍ مُتعفِّفٍ ذِي عِيال، أو يَهدِي حائراً، أو يُعلِّم جاهلاً، أو يُؤوي غريبـًا، أو يَدفع شرًّا عن مخلوق أو أَذَىً عن طريق، أو يَسُوق نفعـًا إلىٰ

(١) أخرجه مسلم في"صحيحه" في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (١/ ٤٦ برقم: ٣٥).

ذي كَبِدٍ رَطْبَةٍ = فهو عبادةٌ وقُربة إلىٰ الله إذا صَحَّتْ فيه النيةُ. أعمالٌ كثيرةٌ من هذا النوع جعلها الإسلامُ مِن عبادةِ الرحمن، وشُعَبِ الإيمان، وموجباتِ المثوبة عند الله... والإسلام لا يَسْتَحِبُّ هذه الأعمال ويَحْمَدُها فحسب، بل هو يدعو إليها، ويحث عليها، ويأمر بها، ويجعلها من الواجبات اليومية علىٰ المسلم، التي تُقَرِّبه إلىٰ الجنة، وتُبعده عن النار، وهو تارة يسميها"صدقة"، وطَوْرا يسميها"صلاة"، وهي علىٰ كل حالٍ عبادةٌ وقُرْبة إلىٰ الله الكريم)[1]. ومن هنا فقد فطن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **للعلاقة الوثيقة بين العبادة والعمل الخيري** فأدرجه في معناها الواسع الرحيب، وهذا له أبلغ الأثر في الحث علىٰ القيام بالعمل الخيري، وضمان استمراره وتطويره والإبداع فيه والإقبال عليه بإخلاص، فقال في تعريفه لمفهوم العبادة: (هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة. فَالصَّلَاة وَالزَّكَاة وَالصِّيَام وَالْحج وَصدق الحَدِيث وَأَدَاء الْأَمَانَة وبرّ الْوَالِدين وصلَة الْأَرْحَام وَالْوَفَاء بالعهود وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر وَالْجهَاد للْكفَّار وَالْمُنَافِقِينَ وَالْإِحْسَان للْجَار واليتيم والمسكين وَابْن السَّبِيل والمملوك من الْآدَمِيّين والبهائم وَالدُّعَاء وَالذكر وَالْقِرَاءَة وأمثال ذَلِك من الْعِبَادَة)[2]، (وفي هذه الدائرة الرحبة من أعمال البِرِّ التي شملت الإنسان وغير الإنسان يجد المهتمون بالعبادة، الراغبون في الإكثار منها، والمهتمون بخدمة

(١) انظر: **العبادة في الإسلام**، د. يوسف عبد الله، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، ص: ٥٧ و٥٨ – ٥٩).

(٢) انظر: **العبودية**، للإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، (ص: ٤٤).

المجتمع والإحسان إلىٰ الخلق أيضًا ما يشبع نهمهم ويتجاوب مع أشواقهم، بدل أن يحصروا في عبادات"الصوامع" وحدها وينقطعوا عن ركب الحياة)[1].

**۞ ثانيًا: توظيف الطاقات والكفاءات فيما يناسبها من العمل الخيري.**

يعتمد نجاح العمل الخيري علىٰ المجهودات المبنية علىٰ المهارات والخبرات المتنوعة، حيث يتطوع بالقيام به كلُّ إنسانٍ حسب تخصصه الذي يتقنه؛ ومن هنا يأتي دور المؤسسة الخيري أو القائد للعمل الخيري في توجيه هذه التخصصات وتوظيف طاقات أصحابها فيما يتناسب مع الاحتياجات الواجب تغطيتها في المجتمع؛ فمثلًا عند شيوع الفقر تقوم الجهة المشرفة علىٰ العمل الخيري بصرف أنباه الأغنياء وأصحاب الأموال وتوجيه جهودهم نحو البيئات الفقيرة لِسَدِّ حاجاتها، وكفاية أهلها. وعند تفشي الجهل والأمية يأتي دور الدعاة والمتعلمين في مواجهة الجهل بالدِّين وأحكامه، وتعليم الناس، ومحو أميتهم الدينية والعلمية حتىٰ يصل ذلك إلىٰ محو الأمية الحاسوبية وغيرها من مستلزمات العصر الحديث... إلخ؛ وهذا يستلزم أن يكون القائمون علىٰ العمل الخيري علىٰ دراية واسعة بأصحاب الكفاءات والتخصصات، ولديهم قاعدة بيانات قوية لهم، وبذلك المفهوم نستطيع الوصول بالعمل الخيري إلىٰ أفضل استثمارٍ في سبيلِ تَقَدُّمِ المجتمعات ونهوضها، **والأحاديث النبوية الواردة في هذا الباب كثيرة، ولكني أكتفي هنا بنموذج نبويٍّ فريد أراه الأساس العملي الذي يُبنَىٰ عليه في إدارة العمل الخيري وإتقانه:** عَنْ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنَفِيِّ الْيَمَامِي، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ -، وَهُوَ يُؤَسِّسُ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَعْمَلُونَ فِيهِ مَعَهُ، فَجَعَلْتُ أَحْمِلُ

(١) انظر: **العبادة في الإسلام**، د. يوسف عبد الله، (ص: ٦١).

الْحِجَارَةَ كَمَا يَحْمِلُونَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ عَمَلَهُمْ وَكُنْتُ صَاحِبَ عِلَاجٍ وَخَلْطِ طِينٍ، أَخَذْتُ أُحْذِقُ الْمِسْحَاةَ، فَخَلَطْتُ بِهَا الطِّينَ، فَكَأَنَّهُ أَعْجَبَهُ أَخْذِي الْمِسْحَاةَ وَعَمَلِي، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: **«إِنَّكُمْ يَا أَهْلَ الْيَمَامَةِ أَحْذَقُ شَيْءٍ بِإِخْلَاطِ الطِّينِ، فَاخْلِطْ لَنَا الطِّينَ»** فَكُنْتُ أَخْلِطُ لَهُم الطِّينَ وَيَحْمِلُونَهُ. فَكَانَ يَقُولُ: **«قَدِّمُوا الْيَمَامِي مِنَ الطِّينِ،** - وفي رواية: - **مَكِّنُوا الْيَمَامِيَّ مِنَ الطِّينِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَحْسَنِكُمْ لَهُ مَسًّا»**، وفي رواية: **«دَعُوا الْحَنَفِيَّ وَالطِّينَ، فَإِنَّهُ أَضْبَطُكُمْ لِلطِّينِ»**. وفي رواية: **«اخْلِطِ الطِّينَ فَإِنَّكَ أَعْلَمُ بِخَلْطِهِ»**. وفي رواية: **«إِنَّ هَذَا الْحَنَفِيَّ لِصَاحِبُ طِينٍ»**. وفي رواية **«قَرِّبُوا الْيَمَامِيَّ مِنَ الطِّينِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَحْسَنِكُمْ لَهُ مَسًّا، وَأَشَدِّكُمْ لَهُ سَاعِدًا»**[1].

**۞ ويتبين لنا من مجموع روايات هذا الحديث عدة فوائد على النحو التالي:**

١- **التمكين يبدأ مِن رعاية حَقِّ الطِّين:** وذلك مستفاد من اهتمام النبي - عليه الصلاة والسلام - بصناعة الطين، فلَمْ يَغْفُل عن مراقبتها في مرحلة الإعداد رغم وجود ما هو أهم منها، وهذا يعني أن القائمين علىٰ العمل الخيري ينبغي عليهم أن

(١) أخرجه أحمد في"مسنده" (٣٩/ ٤٦٣ رقم ٢٤٠٠٩/ ٢٨)، والدراقطني في"سننه" في كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ مَا رُوِيَ فِي لَمْسِ الْقُبُلِ (١/ ٢٧١ رقم٥٤٠)، وابن حبان في"صحيحه" في كتاب الطهارة ، ذكر الوقت الذي وفد طلق بن عَلِيٍّ عَلَىٰ رسول الله ﷺ (٣/ ٤٠٤ برقم: ١١٢٢)، والطبراني في"المعجم الكبير" (٨/ ٣٣١ رقم٨٢٣٩ و٣٣٢ رقم٨٢٤٢ و٣٣٥ رقم٨٢٥٤)، والبيهقي في"السنن الكبرىٰ" في كتاب الطهارة، جماع أبواب الحدث، باب ترك الوضوء من مس الفرج بظهر الكف (١/ ٢١٣ رقم٦٤٦)، وابن سعد في"الطبقات الكبرىٰ" (٥/ ٥٥٢)، وابن قانع في"معجم الصحابة" (٢/ ٤١)، وأبو نعيم في"معرفة الصحابة" (١/ ٣٥٧)، قال الهيثمىٰ في"مجمع الزوائد": (٢/ ٩):"رواه أحمد والطبرانىٰ فىٰ الكبير ورجاله موثوقون"، قلت: إسناده حسن، رواته جميعهم ثقات سوىٰ قيس بن طلق فإنه"صدوق" كما في"التقريب" لابن حجر (ص:٤٥٧).

لا يستهينوا بالأعمال اليسيرة، بل يجب عليهم إعطاءها حظها وحقها من الاهتمام والإتقان، فإن الأمور اليسيرة هي الطريق إلىٰ الأمور العظيمة، فمن قَصَّر في الأولىٰ أساء في الثانية، وكما قيل: معظم النار من مستصغر الشرر.

٢- **الرجل يُحْسِنُ الشيء من أعمال البناء يوكله الإمام المسئول بعمله:** وذلك مستفاد من نظر النبي - عليه الصلاة والسلام - إلىٰ طَلْقٍ وهو يمسك بالْمِسَحاة يخلط الطين، ثم قوله: «مَكِّنُوا الْيَمَامِيَّ مِنَ الطِّينِ مِنْ أَحْسَنِكُمْ لَهُ مَسًّا، وَأَشَدِّكُمْ لَهُ سَاعِدًا»، وهذا يدعو القائمين علىٰ العمل الخيري إلىٰ ملاحظة ومراقبة الذين يعملون معهم، والتعرف علىٰ خبرة كل واحد منهم ومهارته، ثم إسناد ما يناسبه من الأعمال إليه؛ لنضمن سرعة إنجاز الأعمال مع التميز والإتقان.

٣- **انشغال الرجل بما يتقنه وصَرْفُ همته وطاقته إليه:** وهذا مستفاد من تَوَجُّهِ طَلْقٍ - رضي الله عنه - إلىٰ العمل في خلط الطين، رغم ما يلابسه من مشقة، وكونِه بعيدًا عن الأنظار، وفي ذلك الفعل دعوة لكل مُتَوَجِّهٍ إلىٰ العمل الخيري أن يختار من العمل ما يعرف من نفسه أنه أهل له، ويتوافق مع إمكاناته وقدراته، حتىٰ لو كان صعبًا ويحتاج إلىٰ بذل المزيد من الوقت والجهد، وبعيدًا عن الأضواء وأنظار الناس، فإنه بذلك يوفر علىٰ المؤسسات الخيرية الكثير من الدراسات لتصنيف العاملين معهم كلٍّ حسب طاقته.

٤- **إخلاء الساحة من غير المتقنين أمام المهرة الأكفاء:** وهذا مستفاد مِنْ أمْرِه - عليه الصلاة والسلام - للعاملين في الطين بالانصراف عنه، وإسناد صناعته إلىٰ الماهر فيه المتمكِّنِ منه وهو طَلْقٌ - رضي الله عنه -، وبذلك نضمن إزالة العقبات التي تؤخر إتمام العمل الخيري في وقته المحدد، بالإضافة إلىٰ سرعة الإنجاز وضمان الجودة.

**٥- لَفْتُ الأَنْبَاه إلىٰ المتقنين والدلالة عليهم، وتشجيعهم بالثناء المناسب:** وذلك مستفاد من قوله - عليه الصلاة والسلام -: «إِنَّكُمْ يَا أَهْلَ الْيَمَامَةِ أَحْذَقُ شَيْءٍ بِإِخْلَاطِ الطِّينِ»، «إِنَّ هَذَا الْحَنَفِيَّ لِصَاحِبُ طِينٍ» «فَاخْلِطْ لَنَا الطِّينَ؛ فَإِنَّكَ أَعْلَمُ بِخَلْطِهِ»، وهذا يمثل دعوة نبوية مهمة للعاملين في مجال العمل الخيري أن يهتموا بالدعم المعنوي للمتقنين في القيام بمهامهم المسندة إليهم، من خلال كلمات التشجيع والمدح والثناء، فإن لذلك أبلغ الأثر في زيادة نشاطهم، ودفْعِهم نحو تطوير خبراتهم ومهاراتهم بصفة مستمرة.

**❁ ثالثًا: التعاون والجماعية في العمل الخيري.**

لا يخفىٰ علىٰ المعنيين بالعمل الخيري أهمية العمل الفردي الذي يمارسه المتطوع، لكن الأكثر منه أهمية هو العمل التطوعي المؤسسي؛ حيث يتميز بأنه أدق تنظيمًا وأوسع تأثيرًا في خدمة المجتمع، وقد صار العمل التعاوني في عصرنا ضرورة ملحة لا سبيل للوصول إلىٰ الإنجاز والإتقان بدونه، فالمؤسسات والجمعيات الخيرية - الحكومية والأهلية - (يحتل فيها العمل التطوعي أهمية كبيرة، وتُسهم في تطوير المجتمع؛ إذْ إنَّ العملَ المؤسسي يُسهم في جمع الجهود والطاقات الاجتماعية المبعثرة، فقد لا يستطيع الفرد أن يقدم عملاً محدداً في سياق عمليات محو الأمية، ولكنه يتبرع بالمال؛ فتستطيع المؤسسات الاجتماعية المختلفة أن تجعل الجهود المبعثرة متآزرةً ذات أثر كبير وفعَّال إذا ما اجتمعت وتم التنسيق بينها، وسوف تسعىٰ هذه المؤسسات إلىٰ التطوير في نوعية تقديم الخدمات التي تقدمها إلىٰ المجتمع أيًّا كانت صورها)[1]، وفي هذا المعنىٰ يقول

(١) انظر: **"جدد شبابك بالتطوع"**، إعداد/ محمد هشام أبو القمبز، ص١٩ - ٢٠، بتصرف.

الرسول – عليه الصلاة والسلام –: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ(١). ويقول أيضًا: «**إِنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ**»(٢)، **وأرىٰ – والله أعلم – أن السُّنَّة العملية قد وضعت أول لبنة علىٰ طريق العمل المؤسسي الخيري** من خلال نماذج كثيرة كان أروعها – في تقديري – ما وقع في قصة سلمان الفارسي – رضي الله عنه – حين ثقلت عليه ديونُه لليهودي الذي يَمْلِكه، وكان سلمان قد كاتَبَ هذ اليهوديَّ علىٰ مالٍ معينٍ يؤديه إليه، وعملٍ يقوم به ليحصل علىٰ العتق والحرية من ربقة الرِّق والعبودية، فشَكَا سلمانُ حالَه إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام واستعانه علىٰ أداء ما عليه من ديون، فقال النبي – ﷺ – لأصحابه الكرام: «**أَعِينُوا أَخَاكُمْ**»، وبهذا أطلق النبي – عليه الصلاة والسلام – الدعوة إلىٰ تأسيس أول عمل خيري مؤسسي يلتقي فيه مجتمع المدينة الطاهر علىٰ البذل والعطاء الجماعي، وقصة سلمان قد وردت في الحديث الشريف طويلةً جدًّا، لكني أكتفي منها بموضع الشاهد علىٰ موضوعنا: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ، قَالَ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ – ﷺ –: «**كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ**» فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَىٰ ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ(٣)، وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – لِأَصْحَابِهِ: «**أَعِينُوا أَخَاكُمْ**»

---

(١) أخرجه البخاري في"صحيحه" في كِتَاب الأَدَبِ- بَاب تَعَاوُنِ المُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا (٨/ ١٢ رقم٦٠٢٦)، ومسلم في"صحيحه" كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ – بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ (٤/ ١٩٩٩ رقم٢٥٨٥)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري.

(٢) أخرجه ابن حبان في"صحيحه" (١٠/ ٤٣٧ رقم٤٥٧٧)، والبيهقي في"الشُّعَب" (١٠/ ١٨ رقم٧١٠٦) عَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الْأَشْجَعِيِّ.

(٣) **الْفَقِير**: هي الحُفْره التي تُحفَر لغرس النخل. (انظر: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوىٰ – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، =

فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ: الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً[1]، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، يَعْنِي: الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّىٰ اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ**» قَالَ: فَفَقَّرْتُ لَهَا، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - مَعِي إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي، فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟**»، قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ، فَقَالَ: «**خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ**»، فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّا عَلَيَّ؟! قَالَ: «**خُذْهَا، فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ**» قَالَ: فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعَتَقْتُ)[2].

**وقد برزت فكرة العمل المؤسسي الخيري مع نشوء الدولة الإسلامية** وتطورت عبر القرون حيث (اتخذت الصدقة في الإسلام والدولة الإسلامية صورة مؤسسية في شكل الأوقاف في صورها المختلفة من خلال المساجد، والخلاوي القرآنية، والوقف الاستثماري لدعم المساجد ودور العلم، كما هو

---

= ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، [٣/ ٤٦٣]).

(١) **الوَدِيَّة**: وَاحِدَةُ الوَدِيِّ، وهي صِغَارُ النَّخْل. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ١٧٠).

(٢) أخرجه أحمد في"مسنده" (٣٩/ ١٤٠ - ١٤٧ رقم٢٣٧٣٧)، والبزار في"مسنده" (٦/ ٤٦٢ رقم٢٥٠٠)، وقال الهيثمي في"المجمع" (٩/ ٣٣٧): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

الحال في دواوين الزكاة في العديد من الدول الإسلامية)[1].

ومن الآيات التي يُستدل بها علىٰ الدعوة إلىٰ العمل الخيري المؤسسي قولُه تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]. وهذه الآية الكريمة تحتمل أن تكون"مِن" في قوله تعالىٰ: ﴿مِّنكُمْ﴾ للتبعيض كما هو الشائع المتبادر، بمعنىٰ: كَوِّنُوا منكم أمةً أي جماعة قوية مترابطة تدعو إلىٰ الخير وتأمر بالمعروف... إلخ، ومقتضىٰ هذا أن يكون في المجتمع المسلم طائفة قادرة، متمكنة، مُعَدَّةٌ الإعداد الملائم، لتقوم بالدعوة إلىٰ الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمخاطَب بهذا الأمر الإلهي - إيجاد الطائفة المذكورة - هم جماعةُ المسلمين كافة وأولو الأمر خاصة، فعليهم تهيئة الأسباب لوجودها، وإعانتها ماديًّا وأدبيًّا لتقوم برسالتها، فإذا لم توجد هذه الأمة أو هذه الطائفة المنشودة، عَمَّ الإثمُ جميع المسلمين ككُلِّ فَرْضٍ كِفَائِي يُتْرِك ويُهْمَل[2].

**❁ رابعًا: جودة العمل الخيري وإتقانه وإحسانه وأداؤه على الوجه الأمثل.**

اهتمت السُّنة النبوية بالدعوة إلىٰ العمل عمومًا، والخيري خصوصًا، ولكن برز اهتمامها أكثر بجودة العمل وإتقانه، وتحسين منتَجَاته بما يكفل للمجتمع تحقيق التنمية الشاملة التي يسعىٰ إليها وصلًا إلىٰ كفاية المواطنين وتلبية حاجياتهم بما يضمن لهم مستوىً متميزًا من العيشة الكريمة والحياة المطمئنة.

---

(١) انظر:**"جدد شبابك بالتطوع"**، ص٢٥، بتصرف.

(٢) انظر: **ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده**، للدكتور يوسف عبد الله، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولىٰ (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م)، ص: ٥٧-٥٨ بتصرف.

والأحاديث الواردة في الدعوة إلىٰ إتقان وإحسان العمل كثيرة، مِن أشهرها: ما ورد عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ**»(١)، ويُستدل من ذلك علىٰ أن الإتقان مطلوب في كل شيء يباشره الإنسان، ولا يقتصر علىٰ مواطن معينة، والإتقان والإحسان معناهما: الإحكام والإجادة للأشياء والقيام بها علىٰ وجهها، وقد أحكم الله تعالىٰ كل شيء وأحكمه كما في قوله سبحانه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨]، وإتقان العمل من أهم الأمور التي حفل بها القرآن الكريم والسُّنة المطهرة؛ والإسلام لا يَرضىٰ أن يؤدَّىٰ العمل مجرد أداء، وإنما يؤدَّىٰ علىٰ خيرِ وجهٍ يحقق الغاية منه؛ ولهذا السبب جاء لفظ"العمل" مقرونًا بكلمة"الصالح"، يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف:٣٠]. ولذلك فإن رَجُل العمل الخيري مطالبٌ بالخدمة في مهمته وإتقانها واعتبار ذلك عبادةً من العبادات التي تُقَرِّب إلىٰ الله بما تُحقِّق للناس مِن نَفْعٍ، وبما في إتقان العمل من تَشَبُّهٍ بالله الخالق الصانع، والمسلم لا يهمه كَمُّ الإنتاج بقد ما يهمه أن يجوده ويتقنه ويبذل أقصىٰ طاقاته لإحسانه وإحكامه لشعوره العميق واعتقاده الجازم أن الله يراقبه في عمله ويراه في أي حال من أحواله، ومن وسائل الإتقان والإحسان للعمل بالإضافة لما سبق أن ينتفع العامل بالعلم في أسلوب أدائه، وأن يستوعب الجديد في مجاله لتنمية المهارة فيه وتطويره(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في"صحيحه" في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الْأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، (٦/ ٧٢ برقم١٩٥٥).

(٢) انظر: **التربية المهنية والحرفية في الإسلام**، د. جمال محمد هنيدي، دار الوفاء – المنصورة، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ص: ١١٩ – ١٢٢) بتصرف.

**❁ خامسًا: الاهتمام بالأنواع الجارية والمستمرة من العمل الخيري.**

من معالم العظمة في السُّنة النبوية: أنها أرست مبدأ الصدقة الجارية، وبَذْلِ الأموال ووَقْفِها علىٰ مصالح المسلمين ومنافعهم – خاصة كانت أو عامة – وقد أسهم ذلك في تقديم الحلول الناجحة للأزمات والمشكلات التي يواجهها المجتمع في كل عصر، وقد كان النبي - ﷺ – الأسوة الحسنة في تطبيق نظام الوقف، واقتدىٰ به أصحابه - رضي الله عنهم – ابتغاء مرضاة الله تعالىٰ (ثم سارت الأُمَّة الإسلاميَّة علىٰ درب هؤلاء الأفذاذ، ومع مرور العصور وتوالي الأزمان بدأت تتكشَّف القيمة الحقيقيَّة للأوقاف؛ إذ إنها ساعدتْ بل أسهمت بدور حيوي في حلِّ المشاكل التي واجهتها الأُمَّة عبر تاريخها الحضاري الطويل؛ من أدواء ماديَّة وأخلاقيَّة واجتماعيَّة ونفسيَّة وعلميَّة وعسكريَّة.. وغيرها، وهو ما لم نجده في أي حضارة أخرىٰ!)[1]. **ومن الأحاديث الواردة في هذا الباب:** ما ورد عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ: (سُئِلَ النَّبِيُّ - ﷺ -: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ قَالَ: «**أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**»، وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبَتُوهُ)[2]. **ومعنىٰ (الأَدْوَم)**: أن يداوِم عليه فاعلُه ويواظب عليه، بخلاف العمل الذي يقع منه بعض المرات في بعض الأوقات؛ وذلك أنه بالمداومة علىٰ القليل، يستمر العمل وتكثر بَرَكته، بخلاف الكثير الشاق، وربما ينمو القليل الدائم حتىٰ

(١) انظر: **روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية**، د. راغب السرجاني، دار نهضة مصر – الجيزة، الطبعة الثالثة، يونيو ٢٠١١م، ص٤-٥ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في"صحيحه" في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة علىٰ العمل (٨/ ٩٨ برقم ٦٤٦٥)، ومسلم في"صحيحه" في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (٢/ ١٨٩ برقم٧٨٢).

يزيد علىٰ الكثير المنقطع، أضعافا كثيرة. وأيضًا ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١). وهذا الحديث هو الأصل في باب الصدقة الجارية، وقد وردت أحاديث كثيرة في تعداد أنواع الصدقة الجارية، وَالْكُلُّ رَاجِعٌ إِلَىٰ هَذِهِ الثَّلَاثِ (٢).

### ۞ سادسًا: تكثير وتفريع شُعَب العمل الخيري.

التنويع لشُعَب العمل الخيري يتناول القليل والكثير، والعظيم واليسير، والمادي والمعنوي، والبدني والنفسي، الفردي والجماعي، الآنِيّ والدَّوْرِيّ، الكِفَائِيّ والإغْنَائِيّ، حتىٰ تتاح الفرصة لكل إنسانٍ أن يشارك بما يستطيعه ويتوافق مع قدراته وإمكاناته في عمليات بناء وَطَنِه اجتماعيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا...إلخ، وقد أرسىٰ النبي - ﷺ - في ذلك مبدأ الشعور بقيمة المشاركة الخيرية مهما كانت يسيرة في عين فاعلها أو عند الناس، فقال: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا**»(٣)، وجعل هذا العمل الخيري اليسير سبيلًا لنجاة فاعله من النار والوقاية منها فقال:

---

(١) أخرجه مسلم في"صحيحه" في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٥/ ٧٣ برقم١٦٣١).

(٢) انظر: **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، المؤلف: محمد أشرف بن أمير، أبو عبد الرحمن العظيم آبادي (المتوفىٰ: ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ، (٨/ ٦٢) بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم في"صحيحه" في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٨/ ٣٧ برقم ٢٦٢٦).

«**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»(١)، بل إن النبي - ﷺ - قد رفع سقف التحفيز للإقبال علىٰ العمل الخيري ولو كان شيئا يسيرًا، وعَظَّم من شأنه، حتىٰ لا يستهين به أحد من الناس فقال: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ**» قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: «**كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَىٰ عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا**»(٢)، وفي هذا الأحاديث الشريف دعوة لمشاركة جميع الفئات في الأعمال الخيرية والإسهام بما يقدرون عليه من أجل تحقيق نهضة مجتمعاتهم، فيشعر الفرد المسلم بقدرته علىٰ البذل والعطاء، ودَوْرِهِ تجاه وطنه وأُمَّته، ويُحِسّ بأنه جزءٌ من نسيج المجتمع لا ينفصل عنه؛ فيعلو عنده الشعور بالانتماء. **وما أروع الحديث النبوي التالي وهو يوضح للمسلم أنه ينبغي عليه ألا يخلو من عمل الخير أو المساعدة فيه أو الدلالة عليه حتىٰ عَدَّ السكوت عن إعاقته** من جملة الخير، عَنِ أبي موسىٰ عن النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «**عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ**

---

(١) أخرجه البخاري في"صحيحه" في كتاب الأدب، باب طيب الكلام (٨/ ١١ رقم٦٠٢٣)، ومسلم في"صحيحه" في كتاب الزكاة، باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة (٣/ ٨٦ رقم١٠١٦).

(٢) أخرجه وأحمد في"مسنده" (٢ ١٨٧٥ برقم٩٠٥١)، والبزار في"مسنده" (١٥/ ٣٣٨ برقم٨٨٩٧)، والنسائي في"المجتبىٰ" كتاب الزكاة، باب جهد المقل (١/ ٥٠٦ برقم٢٥٢٦/ ٢، و ٢٥٢٧/ ٣)، وابن خزيمة في"صحيحه" كتاب الزكاة، باب صدقة المقل إذا أبقىٰ لنفسه قدر حاجته (٤/ ١٦٦ برقم ٢٤٤٣)، وابن حبان في"صحيحه" كتاب الزكاة ، ذكر البيان بأن صدقة القليل من المال اليسير أفضل من صدقة الكثير من المال الوافر (٨/ ١٣٥ برقم٣٣٤٧)، والحاكم في"مستدركه" كتاب الزكاة، سبق درهم مائة ألف (١/ ٤١٦ برقم: (١٥٢٤)، والبيهقي في"سننه الكبير" كتاب الزكاة، باب ما يستدل به علىٰ أن قوله خير الصدقة ما كان عن ظهر غنىٰ إنما يختلف باختلاف أحوال الناس (٤/ ١٨١ برقم٧٨٧٣). وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم ووافقه الذهبي.

**صَدَقَةٌ**» قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ «**يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**» قَالَ قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «**يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ**» قَالَ قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «**يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «**يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ**»(١). **وفي رواية أكثر تفصيلا:** قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاذَا يُنَجِّي الْعَبْدَ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «**الْإِيمَانُ بِاللهِ**» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ مَعَ الْإِيمَانِ عَمَلٌ، قَالَ: «**يَرْضَخُ مِمَّا رَزَقَهُ اللهُ**» [أي تعطىٰ مما مَلَّكَكَ الله] قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فَقِيرًا، لَا يَجِدُ مَا يَرْضَخُ بِهِ؟ قَالَ: «**يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَيِيًّا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا يَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «**يَصْنَعُ لِأَخْرَقَ**» [هو الجاهل الذي لا يعرف صنعة، يعينه علىٰ تعلم صنعة]، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَخْرَقَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا؟ قَالَ: «**يُعِينُ مَغْلُوبًا**»، قُلْتُ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ضَعِيفًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِينَ مَظْلُومًا؟ فَقَالَ: «**مَا تُرِيدُ أَنْ تَتْرُكَ فِي صَاحِبِكَ مِنْ خَيْرٍ! تُمْسِكُ الْأَذَىٰ عَنِ النَّاسِ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَفْعَلُ خَصْلَةً مِنْ هَؤُلَاءِ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أَخَذَتْ بِيَدِهِ فَلَمْ تُفَارِقْهُ حَتَّىٰ تُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ**»(٢)، (بمثل هذه الروح

---

(١) أخرجه البخاري في"صحيحه" كتاب الزكاة، باب علىٰ كل مسلم صدقة (٢/ ١١٥ رقم١٤٤٥)، ومسلم في"صحيحه" كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف (٣/ ٨٣ رقم١٠٠٨).

(٢) أخرجه الطبراني في"الكبير" (٢/ ١٥٦ رقم١٦٥٠)، وابن حبان في"صحيحه" كتاب البر والإحسان، ذكر الخصال التي يستوجب المرء بها الجنان من بارئه جل وعلا (٢/ ٩٦ رقم٣٧٣)، والحاكم في"مستدركه" كِتَابُ الْإِيمَانِ، إني أحرج عليكم حق الضعيفين اليتيم والمرأة (١/ ٦٣ رقم٢١٢)، والبيهقي في"شعب الإيمان" (٥/ ٣٤ رقم٣٠٥٧)، وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في"المجمع" (٣/ ١٣٥):"رجاله ثقات".

يستحث نبي الإسلام كل مسلم – وإن يكن محدود الاستطاعة – أن يؤدي هذه العبادة أو"الضريبة" الاجتماعية، ولم يجعل الإسلام هذه العبادة موقوتة بزمان أو مرهونة بمكان، كما لم يجعل هذه العبادة أو الضريبة مالية فينفرد بها الأغنياء، ولا بدنية فيختص بها الأقوياء، ولا ثقافة فيتميز بها المتعلمون، ولكنه جعلها ضريبة إنسانية عامة، يؤديها كل إنسان علىٰ قدر طاقته، يشترك فيها الفقير والغني، والضعيف والقوي، والأمي والمتعلم، وإننا لنقرأ أحاديث النبي الكريم في هذا الباب، فنرىٰ أنّه لم يكتف بفرض هذه العبادة العامة علىٰ الإنسان من حيث هو إنسان فحسب، وقد وردت أحاديث عديدة[1] تجعل تبسم المرء في وجه أخيه صدقة، وإسماع الأصم، وهداية الأعمىٰ، وإرشاد الحيران، ودلالة المستدل علىٰ حاجته، والسعي بشدة الساقين في اللهفان المستغيث، والحمل بشدة الذراعين مع الضعيف، وما يدور في هذا الفلك من الأعمال، عَدَّه رسول الإسلام عبادة كريمة، وصدقة طيبة. وبهذا يعيش المسلم في مجتمعه ينبوعًا يفيض بالخير والرحمة، ويتدفق بالنفع والبركة، يفعل الخير ويدعو إليه، ويبذل المعروف ويدل عليه، فهو مفتاح للخير، مغلاق للشر، كما حثه النبي الكريم، وأفقُ الخير والنفع الذي يعيش المسلم دائرتُه ليس خاصًّا بالإنسان وحده، وإنما يتسع فيشمل كل كائن حي في الوجود حتىٰ الطير والحيوان، فكل إحسان يُسْديه إليه، أو أذىً يدفعه عنه عبادةٌ تقربه إلىٰ الله، وتوجب له رضاه)[2]. ولعل هذه الخصال كلها مما يدخل في جملة

(١) انظر علىٰ سبيل المثال: ما أخرجه البخاري في"صحيحه" كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه (٤/ ٥٦ رقم٢٩٨٩)، ومسلم في"صحيحه" كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف (٣/ ٨٣ رقم١٠٠٩).

(٢) انظر: **العبادة في الإسلام**، د. يوسف عبد الله، (ص: ٥٩ – ٦١) بتصرف.

ما رواه عَبْد اللهِ بْن عَمْرٍو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، أَنَّ رَسُول اللهِ - ﷺ - قَالَ: «**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاَهُنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الجَنَّةَ**» قَالَ حَسَّانُ – أحد رجال هذا الحديث -: فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ العَنْزِ، مِنْ رَدِّ السَّلاَمِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَنَحْوِهِ فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً[1]. وهنا نقف مع ملاحظتين: **الأولىٰ: كمية العمل الخيري**؛ من حيث عَدَدُ الصدقات اليومية التي رغب الرسول الكريم - ﷺ - المسلمَ فيها. **والثانية: كيفيته:** من خلال شمول أنواعه لكافة حاجات الناس، ليخدمهم ويخفف عنهم، ويرقي من شأنهم، ويحسن من أوضاعهم)[2].

### ۞ سابعًا: تنويع مصادر التمويل للأعمال الخيرية.

تنوعت مصادر تمويل العمل الخيري بحيث تضمن ديمومته وتغطي مجالاته المختلفة وتواكب التغيرات الحادثة عبر العصور والأزمنة، وقد ورد في القرآن الكريم والسُّنة المطهرة بيان كثير من هذه المصادر التمويلية للعمل الخيري، منها **فريضة الزكاة، والصدقات التطوعية،** والكفارات والنذور، والأضحية، والهَدْي، والوصية... إلخ، ولكني أكتفي هنا بأعظمها أثراً واستمرارية، وهو: **الوقف الخيري:** لأنه الرافد الأكبر الذي قامت عليه المؤسسات الخيرية عبر عصور الحضارة الإسلامية، حيث كان من أهم سُبُل

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب الهبة وفضلها، باب فضل المنيحة (٣/ ١٦٦ رقم٢٦٣١).

(٢) انظر مقالة بعنوان: "**حيوية المجتمع المسلم في التطوع**"، للأستاذ/ أحمد مخيمر، علىٰ موقع الألوكة علىٰ الشبكة العنكبوتية، رابط المقالة:

http://www.alukah.net/sharia/0/3140/.

الخير وأكثرها نفعًا للمسلمين، فكانت الأوقاف تَدِرُّ منافعها التي عمرت المساجد، وشَيَّدت القلاع والحصون والقناطر والجسور، وأسسَتْ المستشفيات ودور العلم والمكتبات العلمية العامة والخاصة - دينية ودنيوية -، وأصلحت الطُّرق، وحفرت الآبار وأجرت الأنهار والقنوات التي تمد الناس بالماء في كل مكان مع تعاهدها بالصيانة والتنظيف، وبَنَتْ الفنادق التي يأوي إليها الغرباء، وسَيَّرَتْ القوافل الطبية والعيادات المتنقلة للقيام بجولات علاج مجانية في كافة الأمصار الإسلامية خاصة القرىٰ النائية، وأقامت الرباطات والقواعد العسكرية والأمنية التي تحمي الثغور الإسلامية، وتبين لنا من هذا كله أن امتداد فكرة الوقف من المؤسسة الدينية إلىٰ البِرِّ العام - الذي يشمل الخدمات الاجتماعية وتقديم المنافع والسلع العامة – كان ابتكارًا إسلاميًّا خالصًا جاءت به الرسالة الإسلامية الخالدة[1]. **والحديث الأصل في مشروعية الوقف** هو ما ورد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنْ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ - ﷺ - يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ: «**إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا**» قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الفُقَرَاءِ، وَفِي القُرْبَىٰ وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ[2]. وفي رواية[3]:

(١) انظر: روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية – الفصل الرابع (ص٨٦ – ١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في"صحيحه" كتاب الوكالة ، باب الوكالة في الوقف ونفقته (٣/ ١٠٢ رقم٢٣١٣)، ومسلم في"صحيحه" كتاب الوصية، باب الوقف (٥/ ٧٣ رقم١٦٣٣).

(٣) أخرجه النسائي في"سننه" كتاب الأحباس، باب حبس المشاع (١/ ٧١٥ رقم٣٦٠٦/ ٢).

قَالَ: «**فَاحْبِسْ أَصْلَهَا وَسَبِّلِ الثَّمَرَةَ**[1]». وَقد حَمَلَ الْعُلَمَاءُ الصَّدَقَةَ الْجَارِيَةَ عَلَىٰ الْوَقْفِ[2]، فالوقف (جزء من التشريع الرباني الحكيم، الذي فعله النبي - ﷺ - وتبعه في ذلك الأئمة المهديون من الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعون إلىٰ يومنا هذا، ولذلك فمن الضروري أن يُنظر إلىٰ الوقف من منظار آخر، منظار ينفض الغبار الذي طاله لسنين عديدة، ويُذَكِّر المسلمين أن هناك مشروعًا حضاريًّا مهمًّا يتمثَّل في إعادة إحياء الأوقاف مرَّة أخرىٰ، بعدما اندرست في كثير من بلدان المسلمين؛ فإحياء الأوقاف مهمَّة لا تتوقَّف حدودها عند فئة دون أخرىٰ؛ إذ هي مهمَّة شاملة شأنها شأن القضايا الكبرىٰ في بلادنا؛ فما من علاج ناجع للقضاء علىٰ الأمراض والبطالة والفقر وإقامة المشروعات التنمويَّة والخدميَّة والمجتمعيَّة أفضل من الوقف![3]، فالوقف قادر علىٰ أن يدخل في

---

(١) أَي اجْعَلْهَا وَقْفًا، وَأَبِحْ ثمرتَها لِمَنْ وقَفْتها عَلَيْهِ، سَبَّلْتُ الشيءَ إِذَا أبحتَه، كأَنَّك جَعَلت إِلَيْهِ طَرِيقًا مَطْروقةً. وسَبِيلُ اللهِ عامٌّ يقعُ عَلَىٰ كُلِّ عَمل خالِصٍ سُلك بِهِ طَرِيقُ التقرُّب إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بأداءِ الفَرَائض والنَّوافل وأَنْواع التَّطوعُّات. (النهاية لابن الأثير ٢/ ٣٣٩).

(٢) انظر: **نهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج**، المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي العباس شهاب الدين الرملي (المتوفىٰ: ١٠٠٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأخيرة - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، (٥/ ٣٥٩). **وَإنما حَمَلَ الْعُلَمَاءُ الصَّدَقَةَ الْجَارِيَةَ عَلَىٰ الْوَقْفِ** لأن غيره من الصدقات ليست جارية، بل يملك المتصدق عليها أعيانها، ومنافعها ناجزًا، وأما الوصية بالمنفعة - وإن شملها الحديث - فهي نادرة، فحَمْلُ الصدقة في الحديث علىٰ الوقف أولىٰ. (انظر: **فقه المعاملات**، د. عبد العزيز محمد عزام، مكتب الرسالة الدولية للطباعة والكمبيوتر، ١٩٩٧-١٩٩٨م، ص٢٠٩).

(٣) وللتوسع في معرفة الأهمية الطبرىٰ للأوقاف الإسلامية دينيًّا واجتماعيًّا وعلميًّا وأمنيًّا وعسكريًّا وصحيًّا، انظر: **الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق**، د. عكرمة سعيد صبري، دار النفائس - =

مجالات الحياة كافَّة، فيُلَبِّي مطالبها علىٰ أكمل وجه وأتمِّ صورة)[1].

**۞ ثامنًا: الدعوة إلى توريث الخبرات في العمل الخيري.**

إن من أروع الوسائل لتنمية العمل الخيري، واستدامة أثره الإيجابي في المجتمع: بناء القدرات البشرية وإكساب الخبرات الفنية والمهنية لمن توافرت لديهم الاستعدادات والدواعي لتَعَلُّمِها واحترافها والمهارة فيها. **وتوريث الخبرات**: (يعني أن يقدِّم السابق للأَحق خلاصة تجاربه، وعصارة حياته في تخصصه، ليبدأ اللاحق من نقطة انتهاء السابق، وهذا التوريث من أهم القضايا علىٰ الإطلاق؛ لأنه يوفر الجهود، ويسدد المسيرة، ويؤمن معه وبه الزلل والخلل - إن شاء الله تعالىٰ -، ومن المؤسف أن تجد المتقنين يغادرون مواقعهم التي مكثوا فيها سنوات، فيأتي مَن لا خبرة له، أو صاحب الخبرة الضحلة ليتولىٰ مسؤولية عمل لم يتقنه، أو لم يحط به علماً كما ينبغي)[2]، وهذا يؤدي إلىٰ ضعف العمل أو انقطاعه وتَوَقُّفِه! **ومن الأحاديث التي تعد أصلًا في باب توريث الخبرات في كافة المجالات الدينية والدنيوية**، وتدل علىٰ خيرية من يفعل ذلك وفضله عند الله تعالىٰ: ما ورد عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[3]، وكذلك يدخل تَنَاقُل الخبرات ضمن قوله

---

=

الأردن، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م)، ص٨٠-٨٧.

(١) انظر: روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، ص٨-٩ بتصرف.

(٢) انظر: **التوريث الدعويّ**، د: مُحَمَّد مُوسَىٰ الشَّرِيْف، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، (ص:١١) بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري في"صحيحه" كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٦/ ١٩٢ رقم٥٠٢٧).

عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**»(١)، وفي مقابل الحث علىٰ توريث الخبرات والترغيب فيه نجد التحذير الشديد لكل من أهمل توريث من هم تحت يده خبرتَه العلمية فيما يُحتاج إليه في أمور المسلمين، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عن النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «**مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**»(٢).

(والعجيب أن الأمم من حولنا - شرقًا وغربًا- تنبهت إلىٰ هذه القضية المهمة في وقت مبكر، وعقدت مجامع، وأسست مراكز، وعملت كل ما في وسعها للاستفادة التامة من علمائها وأعلامها، فلا يغادرون هذه الحياة إلا وقد حصلت الاستفادة التامة من حياتهم غالبًا، فحبذا لو التفتنا إلىٰ هذا الأمر المهم، إذ أنَ الجهود المبذولة اليوم لا تكاد تقتصر علىٰ مظاهر وشكليات في هذه القضية، نعم هي مهمة لكن لا ترتقي إلىٰ أن تبلغ المستوىٰ المطلوب من الاستفادة والتوريث الحسن)(٣). **ومن النماذج المعاصرة المشرفة في هذا المجال**: "الصندوق الوقفي

---

(١) سبق تخريجه في مطلع هذا المطلب.

(٢) أخرجه أبو داود في"سننه كتاب العلم ، باب كراهية منع العلم (٣/ ٣٦٠ رقم٣٦٥٨)، والترمذي في"جامعه" أبواب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم (٤/ ٣٨٧ رقم٢٦٤٩)، وابن ماجه في"سننه" أبواب السنة، باب من سئل عن علم فكتمه (١/ ١٧٥ رقم ٢٦١)، (١/ ١٧٨ رقم٢٦٦)، وأحمد في"مسنده" في مواضع منها (٢ ٢١٦٤) برقم: (١٠٦٣٤)، وابن حبان في"صحيحه" كتاب العلم، ذكر إيجاب العقوبة في القيامة علىٰ الكاتم العلم الذي يحتاج إليه في أمور المسلمين (١/ ٢٩٧ رقم ٩٥)، والحاكم في"مستدركه" كتاب العلم، من سئل عن علم فكتمه (١/ ١٠١ رقم ٣٤٣)، وقال الترمذي:"حَدِيثٌ حَسَنٌ"، وصحَّحه الحاكم علىٰ شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: **التوريث الدعويّ**، د: مُحَمَّد مُوسَىٰ الشَّرِيْف، (ص:١٥).

للتنمية العلمية والاجتماعية" الذي تأسس بقرار وزاري من الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، حيث يخدم جانبًا عظيمًا في حياتنا ومجتمعنا، ويفتح الآفاق أمام المبدعين وذوي القدرات من شبابنا، فيدعمهم بكل ما يحتاجون إليه ماديًّا ومعنويًّا واجتماعيًّا، وكان لهذا الصندوق إنجازات بارزة من أهمها: مشروع "مِنْ كَسْبِ يَدِي"، وهو مشروع يهدف إلىٰ تدريب وتأهيل الفئات التي تتقاضىٰ المساعدة الاجتماعية من الدولة؛ مثل: المطلقات، والأرامل، والبنات غير المتزوجات، وكذلك الأُسَر المتعففة... وغير ذلك، وإكسابهن المهارات اللازمة للعمل في الميادين المختلفة، وذلك من خلال انتسابهن للدورات التدريبية المتنوعة التي يُعِدُّها مشروع "مِنْ كَسْبِ يَدِي"؛ لتعينهن علىٰ سد حاجاتهن والاكتفاء بذاتهن[1].

---

(١) انظر: مشروع "مِنْ كَسْبِ يَدِي"، موقع الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، علىٰ الرابط: https://goo.gl/Hqhkj٦. **ويمكن أن يستأنس بالاستدلال علىٰ ذلك العمل الرائع** بما أخرجه أبو داود في "سننه" كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة (٢/ ٤٠ رقم١٦٤١)، وابن ماجه في "سننه" أبواب التجارات، باب بيع المزايدة (٣/ ٣١٦ رقم ٢١٩٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: **«أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟»**، قَالَ: بَلَىٰ، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: **«ائْتِنِي بِهِمَا»**، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَقَالَ: **«مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟»** قَالَ رَجُلٌ: أَنَا، آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قَالَ: **«مَنْ يَزِيدُ عَلَىٰ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»**، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: **«اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَىٰ أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ»**، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: **«اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا»**، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَىٰ بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وأخرجه الترمذي في "جامعه" مختصرًا أبواب البيوع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في بيع من يزيد (٢/ ٥٠٤ رقم١٢١٨)، وقال: "حَدِيثٌ حَسَنٌ". والنسائي في "المجتبىٰ" كتاب البيوع، باب =

**❁ تاسعًا: التحذير من التخذيل عن الأعمال الخيرية.**

يرتبط تَقَدُّمُ المجتمعات بمقدار ما ينشط فيها **النقد البَنَّاء** الذي يهدف إلىٰ التغيير نحو الأفضل والأحسن، وتطوير العمل والإنتاج، وهذا ما علَّمه النبي - ﷺ - أُمَّتَه في الحديث الذي رواه مسلم[1] عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ -، قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»، وما رواه الشيخان[2] عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «**بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**». فهذا النقد البَنَّاء يصدر عن نفس زاكية وقلب يحمل الخير لوطنه ومجتمعه والناس من حوله حيث يشمل النصح الرفيق المزين بالأدب الراقي للأفراد والجماعات والمؤسسات الحكومية والأهلية صغيرة كانت أو كبيرة، وحينئذ يكون التغيير إلىٰ الأحسن، وتتميز المؤسسات بالإنتاجية الجيدة والمتميزة.

أما **النقد الهَدَّام** فإنه يبدد الجهود، ويُضْعِف الطاقات، ويصيب جدران

---

= البيع فيمن يزيد (١/ ٨٨٠ رقم ٤٥٢٠/ ١)، وصحَّحه الضياء المقدسي في"المختارة" (٦/ ٢٤٧ رقم٢٢٦٥)! والراجح أن سنده ضعيف؛ فإن فيه: عبد الله الحنفي أبو بكر البصري الراوي عن أنس:"لا يُعرف حاله"، كما قال الحافظ في"التقريب" (٣٣٠)، وانظر لتفصيل القول في تضعيفه:"البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير" لابن الملقن (٦/ ٥١٤)، و"نصب الراية" للزيلعي (٤/ ٢٢ – ٢٣).

(١) أخرجه مسلم في"صحيحه"" كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (١/ ٥٣ رقم٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في"صحيحه" كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة (١/ ٢١ رقم٥٧)، ومسلم في"صحيحه" كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (١/ ٥٤ رقم٥٦).

المجتمع بتصدعات شتىٰ تُسْهِم في تقويض أركانه وتمزيق نَسِيجه، ويَعُوقُه عن النهوض والرُّقي والتنمية الشاملة، وهذا النقد السلبي الهَدَّام لا يَصْدُر إلا عن ضِعَافِ النفوس، ومَرْضىٰ القلوب، وكارِهِي الخير، ومُنْحَرِفِي الأفكار والتوجهات، إذْ يُمَثِّلُون عقبةً في طريق الإصلاح المجتمعي، وخنجرًا مسمومًا في ظهور العاملين مِن أجل بناء مجتمعاتهم، فترىٰ هؤلاء الْمُخَذِّلِين لا يجيدون سوىٰ ذِكْر المساوئ، وتعداد المعايب، ورصد الأخطاء، ويتفننون في وسائل التجريح والقعود علىٰ طرق الخيرات للصد عنها! وحين تسألهم ماذا قدمتم أنتم من أجل تنمية العمل الخيري؟ وماذا أبدعتم من وسائله؟ تراهم صُمًّا بُكْمًا عُمْيًا لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلًا، وصدق فيهم قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة:١١-١٢]. وقد حذر النبي - عليه الصلاة والسلام - من النقد السلبي الهدام كما في محاورته مع أبي ذر بعد أن عدد له النبي عليه الصلاة والسلام أنواعًا من العمل الخيري ثم قال: «**يُمْسِكُ [لِسانَهُ] عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ**»(١)، وهذا يشير إلىٰ معنىٰ رائق له أثره في تنمية العمل الخيري وهو: إذا لم تستطع فعل الخير فلا تُخَذِّلْ غيرك. وبعبارة أخرىٰ: إذا لم تقدر علىٰ عمل الخير فَدَعِ الناس يعملون، ولا تحتقر أعمالهم. وهذا المعنىٰ الكريم تؤيده الأحاديث الأخرىٰ مثل: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٢).

(١) سبق تخريجه في: (سادسًا: تكثير وتفريع شُعَب العمل الخيري).

(٢) أخرجه البخاري في"صحيحه"كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان (٨/ ١٠٠ رقم٦٤٧٦)، ومسلم في"صحيحه" كتاب الإيمان، باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير وكون ذلك كله من الإيمان (١/ ٥٠ رقم٤٨).

وقد حذر القرآن الكريم وأظهر أن **التخذيل عن العمل الخيري** واحتقار الجهود المبذولة فيه خصلة من خصال النفاق، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾ [التوبة:٧٩]، فقد أفادتنا هذه الآية الكريمة أن المُخَذِّلِين عن العمل الخيري ذووا نفوس خبيثة تكره الخير قليلًا كان أو كثيرًا؛ فإنه إذا كان كثيرًا اتهموا فاعليه بالرياء وطلب السمعة والشهرة، وإذا كان قليلًا احتقروه وسخروا من فاعليه وزعموا أنه لا يغني شيئًا! **وهذا ما فَصَّله الحديثُ الشريف التالي**: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ [عَلَىٰ ظُهُورِنَا]، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا، فَنَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ [التوبة: ٧٩] الآيَةَ[(١)]، فقد نَبَّهَ هذا الحديث إلىٰ (إلىٰ صنف آخر من الناس لا يعمل ويكره العاملين! ينظر بعين السخط إلىٰ ما يؤديه الآخرون، يلتمس عيبًا فيه ليتحدث عنه ويطعن في صاحبه، لا الكثير يرضيهم ولا القليل يرضيهم، إنهم هدامون طعانون، والواقع أن العاجزين عن العطاء مهرة في الغمز واللمز، والأمم التي لا تعرق في ميادين الكدح لا ينقطع ضجيجها في نقد الآخرين)[(٢)]. وليس معنىٰ ذلك أن لا نذكر السلبيات والمساوئ مطلقًا، بل نذكرها بالنقد البَنَّاء الذي يهدف إلىٰ معالجتها، كما نذكر الإيجابيات والمحاسن

(١) أخرجه البخاري في"صحيحه" كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة (٢/ ١٠٩ رقم١٤١٥)، ومسلم في"صحيحه" كتاب الزكاة، باب الحمل بأجرة يتصدق بها والنهي الشديد عَنْ تنقيص المتصدق بقليل (٣/ ٨٨ رقم١٠١٨)، والزيادة لمسلم.

(٢) انظر: **كنوز من السُّنة**، للشيخ محمد الغزالي، الناشر: دار نهضة مصر – القاهرة، الطبعة الأولي ١٩٩٨م.

لتعزيزها وتطويرها، وما أروع قول الشيخ محمد الغزالي: (إذا رأيت مخطئا فلا تضربه علىٰ يده وعلىٰ فمه، بل صور له الحق تصويرا حسنا، وقُده إليه قيادة رفيقة. هذا هو النقد البناء، لا تقل للمبطل: دع باطلك، دون أن تكون قد صورت نموذجا حسنا للحق الذي تدعو إليه. لكنني رأيت من ينقد لقصد الهدم، رأيت ذلك - للأسف! - في أحوالنا وفي شؤوننا)[1].

**وينبغي التنبيه هنا بِشِدَّةٍ إلىٰ وجوب تنقية صفوف العاملين في المجال الخيري من الْمُثَبِّطِين** وذوي الهِمَم الفاترة، والعزائم الخائرة حتىٰ لا يكونوا عقبات وأحجارا في طريق الخير، ولا يُمَثِّلوا عوائق تمنع من ديمومة العمل الخيري واستمراره وتطويره، ويَحُولُوا بينه وبين الوصول إلىٰ التنمية الشاملة المنشودة، وهذا التنبيه الخطير نلمحه في قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة:٤٧]. وهذه الآية الكريمة وإن كانت قد نزلت في شأن المنافقين حين قعدوا عن الخروج للقتال مع النبي – ﷺ – في غزوة تبوك، إلا أن هذا لا يبقىٰ له اختصاص بخروجهم إلىٰ القتال فقط، بل هذا عام في جميع الأحوال، فيكون المعنىٰ العام للآية بما يتوافق مع موضوعنا: لو انضم الْمُخَذِّلون والْمُثَبِّطون إلىٰ صفوف العاملين في المجال الخيري ما زادوهم إلا شرًّا واضطرابًا في الرأي، وضَعْفًا وفسادًا في العمل، ولأسرعوا بينهم بالتثبيط والتخذيل، والأقوال الخبيثة، حال كونهم باغين وطالبين لهم التشكيك في صحة أعمالهم، والتثبيط عن القيام بها، ونشر الفرقة في صفوفهم، ولا تخلو صفوف العاملين في المجال الخيري من مطيعين للْمُخَذِّلين، ومستحسنين لحديثهم وكلامهم، يستنصحونهم وإن كانوا لا

(١) انظر: **خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة**، تحقيق: قطب عبد الحميد قطب، دار الاعتصام – القاهرة، ١٤٠٩هـ، (٣/ ١٠٣).

يعلمون حالهم، فيؤدىٰ إلىٰ وقوع شرٍّ بين أهل الخير وفساد كبير؛ لأن هذا هو شأن النفوس المريضة التي تكره الخير، **وبذلك نرىٰ أن الآية الكريمة قد وضحت أن هناك ثلاث مفاسد** كانت ستترتب علىٰ انضمام هؤلاء الْمُخَذِّلين إلىٰ حقل العمل الخيري: **أما المفسدة الأولىٰ:** فهي إفساد النظام والعمل، زيادة الاضطراب والفوضىٰ في صفوف العمل الخيري. **وأما المفسدة الثانية:** فهي الإسراع بين العاملين بالتثبيط والتخذيل، والأقوال الخبيثة. **وأما المفسدة الثالثة:** فهي الحرص علىٰ تفريق كلمة العاملين، واستدراج فئةٍ منهم لسماع كلامهم وتشكيكهم في صحة أعمالهم وجَدْوَاها. وهذه المفاسد الثلاث ما وجدت في عملٍ خيري إلا وَأَدَّت إلىٰ فشله[1].

**❁ تحليل عام لما سبق في هذا المطلب:**

**وبناء علىٰ ما سبق ذكره من النماذج الواردة في السُّنة المطهرة لبيان وسائل العمل الخيري وأثرها في تنمية المجتمع، نستطيع أن نقول:**

**١- إنَّ عناية السُّنَّة المطهرة بوسائل العمل الخيري تبين بجلاءٍ الأهمية الكبرىٰ لها** من خلال: (أنها تعمل علىٰ مشاركة المواطنين في قضايا مجتمعهم، كما أنها تربط بين الجهود الحكومية والأهلية العاملة علىٰ تَقَدُّمِ المجتمع، كما أنه من خلال هذه الوسائل الخيرية يمكن التأثير الإيجابي في الشباب، وتعليمهم طريقةً

(١) انظر: **التفسير الوسيط**، للدكتور محمد سيد طنطاوي، ط دار نهضة مصر – القاهرة، الطبعة الأولىٰ (١٩٩٨م) (٦/ ٣٠٩ – ٣١٠) بتصرف كبير. **والمراد بالخبال**: الاضطراب والمرض الذي يؤثر في العقل كالجنون ونحوه. أو هو الاضطراب في الرأي. **والإيضاع**: سرعة السير. **والخلال**: الفُرَجُ التي تكون بين الصفوف، والمعنىٰ: ولأسرعوا بينكم بالوشايات والنمائم والإفساد. **والمراد بالفتنة** هنا: كل ما يؤدىٰ إلىٰ ضعف المسلمين في دينهم أو في دنياهم.

للحياة قائمةً علىٰ تَحَمُّلِ المسئولية الاجتماعية، وتؤدِّي إلىٰ التقليل من أخطار العلل الاجتماعية والسلوك المنحرف داخل المجتمع، عن طريق انغماس الأفراد في القيام بأعمالٍ من شأنها أن تُشعرهم بأنهم مرغوبٌ فيهم، ويضاف إلىٰ ذلك أن هذه الوسائل الخيرية المتنوعة ستؤدِّي إلىٰ تنميةِ قدرةِ المجتمع علىٰ مساعدة نفسه، عن طريق الجهود الذاتية التي يمارسها المتطوعون)[1].

٢- **ومن خلال النظر في الأحاديث النبوية الشريفة التي بَيَّنَتْ وسائل العمل الخيري المتنوعة، تتجلىٰ لنا أهميةُ التنوع في هذه الوسائل** - التي اشتملت علىٰ وسائل تتعلق بالموارد البشرية، وأخرىٰ بالموارد المادية والبيئية المتاحة – (في تنمية المجتمعِ من خلال مِحْورينِ هامَّينِ:

**أ- الاستفادة من الموارد البشرية:** حيث يمثِّلُ العملُ التطوعيُّ دورًا إيجابيًّا في إتاحة الفرصة لكافة أفراد المجتمع للمساهمة في عمليَّاتِ البناء الاجتماعيِّ والاقتصادي اللازمة في كلِّ زمانٍ ومكان، ويساعد العملُ التطوُّعيُّ علىٰ تنمية الإحساس بالمسؤوليَّةِ لدىٰ المشاركين، ويُشعِرُهم بقدرتِهم علىٰ العطاء وتقديمِ الخبرة والنَّصيحة في المجال الذي يتميَّزون فيه.

**ب- الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة:** حيث يساهمُ العمل التطوُّعي في تخفيض تكاليفِ الإنتاجِ، ويساعدُ علىٰ تحقيق زيادةِ الإنتاج، ومع تزايُدِ الطَّلبِ علىٰ السِّلَعِ والخدمات من قِبَلِ أفرادِ المجتمع، وصعوبة الحصولِ عليها في كثيرٍ من الأحيان، فإنَّه يُصبِحُ من الأهميَّةِ بمكانٍ الاعتمادُ علىٰ جهودِ المتطوِّعينَ؛ لتوفيرِ جزءٍ من هذه الاحتياجاتِ)[2].

---

(١) انظر: "**جدد شبابك بالتطوع**"، إعداد/ محمد هشام أبو القمبز، ص١٤، بتصرف.

(٢) انظر مقالة بعنوان: "**العمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة**"، للأستاذ/ أحمد مخيمر، علىٰ موقع =

**٣- كما أن هذه الوسائل المتنوعة للعمل الخيري التي عَرَضَتْ لها السُّنَّة المطهرة تُسْهِمُ بقُوةٍ في الإصلاح المجتمعي من خلال تحقيق الأهداف التي يسعىٰ إلىٰ تحقيقها كلُّ الأوطان**، والتي تنقسم إلىٰ قسمين؛ أهدافٍ عامة وأهدافٍ خاصة. **أما الأهداف العامة** فمنها: (تقليل وتخفيف المشكلات التي تواجه المجتمع، وتكميل العجز عن المِهَنِيِّين، وتنمية روح المشاركة في المجتمع ومواجهة السلبية واللامبالاة، والإسراع في التنمية وتعويض التخلف، وأنَّ انغماس مواطني المجتمع من المتطوعين في الأعمال التطوعية يقودهم إلىٰ التفاهم، والاتفاق حول أهداف مجتمعية مرغوبة، وهذا يقلل مِن فُرَصِ اشتراكهم في أنشطة أخرىٰ قد تكون مهددةً لِتَقَدُّمِ المتجمع وتَمَاسُكِه. **وأما الأهداف الخاصة** فمنها: إشباعُ المتطوِّع لإحساسه بالنجاح في القيام بعملٍ يُقَدِّرُه الآخرون، وتحقيقُ الذاتِ، والحصولُ علىٰ مكانةٍ أفضل في المجتمع، وتكوينُ صداقاتٍ وعلاقاتٍ، وتحقيقُ الانتماء وأنه جزءٌ مِن كُلٍّ مما يعطيهم الأمانَ والوِجْدان الجماعي، وأن المتطوعين سيعوِّضون النقصَ في القُوَىٰ العاملة التي تعاني منها الكثيرُ من الهيئات والمجتمعات، وأنهم سيبذلون جهودًا لتعريف المجتمع الْمَحَلِّي بهيئاتهم التطوعية، فيستمر تأييدُه لها أدبيًّا وماديًّا واجتماعيًّا؛ لأن هذه الهيئات لا تستطيع العيشَ بمعزلٍ عن أفراد المجتمع الذي تعمل فيه)[1].

**٤- ومن خلال إعمال النظرة الواسعة والرؤية الشاملة علىٰ ما أوضحته السُّنة المطهرة من وسائل العمل الخيري** يتبين لنا أنه يجب أن تَعُمَّ هذه الوسائل الخيرية كل الجوانب المجتمعية فتشمل الإسهام الوافر في تنمية المناشط المادية والمعنوية سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو غيرها، وأنه من الخطأ =

---

الألوكة علىٰ الشبكة العنكبوتية، رابط المقالة: https://www.alukah.net/culture/0/42021/

(١) المرجع السابق ص١٥ - ١٦، بتصرف.

حصر العمل الخيري في بعض الجوانب المحدودة في المجتمع مثل الاكتفاء برعاية أهل الحاجات المادية من المرضىٰ والمعوقين والأرامل والأيتام والفقراء فقط! فإننا إذا حصرنا العمل الخيري في هذا الجانب فقط أو جعلناه محل الاهتمام والتركيز أكثر من غيره فقد أهملنا جوانب أخرىٰ لها أهميتها الكبرىٰ في بناء المجتمع والرُقِيِّ به، إن تنويع السُّنة المطهرة لهذه الوسائل الخيرية يوجب علينا شمولية النظرة إليها، وعدم قَصْرِها علىٰ المفهوم التقليدي لها، وهو ما يستلزم الإبداع المستمر والتطوير المتواصل لتلك الوسائل حسب البيئة والأشخاص والأحوال، وهنا (تظهر حقيقةُ العمل الخيري وخُطَطُه فيما يمكِنُ أن تُحدِثَه من تأثيراتٍ وتغيرات في المجتمعِ باتجاه التنمية الشاملةِ؛ فهو ليس جهودًا تُبذَلُ وحسْبُ لإنقاذ مصابٍ، أو علاجِ مريضٍ، أو أموالاً تنفق لسدِّ رمَقِ محتاجٍ، بل إنَّ خطط العملِ الخيريِّ يجبُ أن تكون في اتجاه التَّنميةِ، وفي اتجاه بِناءِ المجتمع فردًا وأسرةً، ومن هنا يمكِنُ أن نضع الأعمالَ في سياقِها الصَّحيحِ المنتِجِ حينما نخطِّطُ للبرامج الموجَّهة إلىٰ كلِّ فئاتِ المجتمع، وعلىٰ رأسها قطاعُ الشَّباب)[1].

٥- **ينبغي الاعتناء بقاعدة فقه الأولويات فهمًا وتطبيقًا، ووضوح الموازنات عند تعارض المصالح والمفاسد،** ويتجلىٰ ذلك في العديد من المناشط الخيرية مثل: - **تقديم مشاريع النفع الدائم علىٰ النفع المنقطع؛** كتشجيع تبني مشاريع الوقف؛ كمدخلات ثابتة للعمل الخيري، ومشاريع تشغيل القادرين علىٰ العمل؛ كمخرجات نفعها دائم للمحتاجين. - **تقديم مشاريع النفع المتعدي علىٰ مشاريع النفع القاصر،** ومن أهم تلك المشاريع: دعم مسيرة العلم وتشجيعه، والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ. - **تقديم ما يحقق الضروريات للمحتاجين علىٰ ما يكون من باب**

(١) انظر مقالة بعنوان:"**العمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة**"، للأستاذ/ أحمد مخيمر، علىٰ موقع الألوكة علىٰ الشبكة العنكبوتية، رابط المقالة: https://www.alukah.net/culture/0/42021/.

**الحاجيات والحسينيات**؛ كأولوية تقديم المعونة للذين يموتون من الجوع، أو يتعرضون للإبادة الجماعية والتصفية الجسدية، أو أولئك الذي يئنون تحت وطأة الغزو التنصيري(١).

وحول هذه المعنىٰ الجليل يقرر أبو حامد الغزالي – رحمه الله – بأن: "تَرْكَ الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور، بل قد يتعين في الإنسان فَرْضَان؛ أحدهما: يَفُوت، والآخر: لا يَفُوت، أو فَضْلَان؛ أحدهما: يَضيق وقته، والآخر: يَتسع وقته؛ فإن لم يَحْفَظِ الترتيبَ فيه كان مغرورًا، ونظائر ذلك أكثر من أن تحصىٰ؛ فإن المعصية ظاهرة، والطاعة ظاهرة، وإنما الغامض: تقديم بعض الطاعات علىٰ بعض؛ كتقديم الفرائض كلها علىٰ النوافل، وتقديم فروض الأعيان علىٰ فروض الكفاية، وتقديم فرض كفاية لا قائم به علىٰ ما قام به غيره، وتقديم الأهم من فروض الأعيان علىٰ ما دونه، وتقديم ما يَفُوت علىٰ ما لا يَفُوت"(٢).



(١) انظر: **الأحكام الفقهية للعمل الخيري الفردي**، د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري، موقع الألوكة.

(٢) انظر: **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ، (٣/ ٤٠٣).

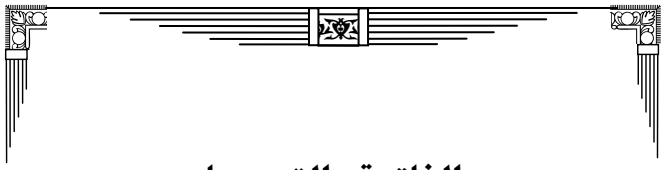

# الخاتمة والتوصيات

**يمكن تلخيص نتائج هذا البحث في النقاط التالية:**

- كشف البحث عن مدىٰ اهتمام السنة النبوية وعنايتها الواسعة بالعمل الخيري والتفنن في الدعوة إليه والترغيب فيه، وسبْق السنة النبوية إلىٰ تكثير وتشعيب دروب ومظاهر العمل الخيري وشمول أنواعه المختلفة، وفتحها الآفاق المتنوعة والمتكاملة لرعاية المجتمع.

- عناية السنة النبوية البالغة بالوسائل التي تسهم في تطوير وتنمية العمل الخيري سواء أتعلقت بالقائمين عليه أم بالعمل ذاته أم بالبيئة التي يصنع فيها العمل الخيري.

- تأكيد السنة النبوية علىٰ جودة العمل الخيري وإتقانه وإحسانه وأدائه علىٰ الوجه الأمثل، مما يكون له أبلغ الأثر وأعظمه في الإنتاج والإبداع الخيري.

- عناية السنة النبوية بطرق تطوير العمل الخيري وتوظيف الطاقات المناسبة وتوجيهها في استثماره، واهتمامها الكبير بما كان له صفة الاستمرار عبر الأجيال من أنواع الخير وأعماله، ولَفْت الأنتباه والأنظار إلىٰ الأنواع الجارية والمستمرة من العمل الخيري.

- تَمَيُّزُ العمل الخيري في السنة النبوية بالعالمية؛ حيث يشمل الإنسانَ بوصفه إنسانًا، بغض النظر عن دينه أو لونه أو عِرْقِه وجِنسه.

- يجب أن توظَّف وسائل العمل التطوعي الواردة في السُّنة النبوية بصفة متكاملة وبما يواكب عصرنا لتفعيل دورها في تطوير المناشط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بل والمعنوية أيضاً.

- بناء القدرات البشرية المهنية والفنية والإدارية في مجالات العمل الخيري وذلك من خلال تكثيف التدريب، وتوريث الخبرات من السابقين المتقنين كما علَّمتنا السُّنة النبوية.

- يُسْهِم تَنَوُّعُ وسائل العمل الخيري بشكل كبير في سرعة التنمية لما له من جدوىٰ اقتصادية واجتماعية كبيرة، كما أنها تؤدِّي إلىٰ مشاركة كل فئات المجتمع حسب قدراتهم المتفاوتة، كما تؤدي إلىٰ التقارب بينها وتماسكها وتنمية الروابط بينها، وسَدِّ الفجوات الموجودة في المجتمع.

- أهمية الدعم المادي والنفسيّ والمعنوي والتوعوي للعمل الخيري في مختلف المجالات، والحذر من حملات التخذيل والتحقير لها مهما كانت يسيرة كما أوضحت ذلك السُّنة النبوية.

- قَدَّمَتِ السنَّة النبويَّة صُورًا خاصَّة في جميع المجالات التي تحيط بحياة الإنسان، فشرحت كيفيَّة تَطَوُّعِ المسلم في حالاته المتعددة، وكيف يكون دائمًا في مصلحة أمته.

- العمل الخيري الفردي والمؤسسي والسعي في مصالح الناس - يعكس حيويةَ المجتمع المسلم، ويكون في ذاته دافعًا للتنمية الشاملة في الأمة علىٰ المستويات الاجتماعية والاقتصادية، والصحية، والعلمية، والثقافية وغيرها، فضلاً عن أنه يعكس الشعور بالانتماء، والشعور بالمسؤولية التي تدفع الأفراد إلىٰ المشاركة والمبادرة بإيجابية وطواعية، ابتغاء مرضاة الله تعالىٰ.

**ويطيب لي أن أقدم هذه بعض التوصيات المقترحة لتطوير العمل الخيري:**

- قراءة الأحاديث النبوية المتعلقة بالعمل الخيري قراءة معاصرة منضبطة وابتكار نماذج جديدة يُحتذىٰ بها وتكون مواكبة لظروف ومتطلبات عصرنا الحديث.

- التخلص من التقيد بربقة العمل الخيري التقليدي، والخروج إلىٰ أرض الواقع واستحداث مناشط خيرية تواكب سعي المجتمع المسلم نحو اللحاق بركب الحضارة والتقدم المعاصر.

- إحياء سُنة الوقف بتجديد الدعوة إليه من خلال مشاريع ذات أبعاد تنموية تكون قريبة من نفوس الناس، وقادرة علىٰ تلبية رغباتهم وحاجياتهم.

- أن تضم البرامج الدراسية للمؤسسات التعليمية المختلفة بعض المقررات الدراسية التي تركز علىٰ مفاهيم العمل الاجتماعي الخيري وأهميته ودوره التنموي ويقترن ذلك ببعض البرامج التطبيقية؛ مما يثبت هذه القيمة في نفوس الشباب مثل حملات تنظيف محيط المدرسة أو العناية بأشجار المدرسة أو خدمة البيئة.

- دعم المؤسسات والهيئات التي تعمل في مجال العمل الخيري مادياً ومعنوياً بما يمكنها من تأدية رسالتها وزيادة خدماتها.

- إقامة دورات تدريبية للعاملين في هذه الهيئات والمؤسسات الخيرية مما يؤدي إلىٰ إكسابهم الخبرات والمهارات المناسبة، ويساعد علىٰ زيادة كفاءتهم في هذا النوع من العمل، وكذلك الاستفادة من تجارب الآخرين في هذا المجال.

- مطالبة وسائل الإعلام المختلفة بدور أكثر تأثيراً في تعريف أفراد المجتمع

بماهية العمل الخيري ومدىٰ حاجة المجتمع إليه وتبصيرهم بأهميته ودوره في عملية التنمية، وكذلك إبراز دور العاملين في هذا المجال بطريقة تكسبهم الاحترام الذاتي واحترام الآخرين.

- تدعيم جهود الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية حول العمل الاجتماعي الخيري؛ مما يسهم في تحسين واقع العمل الاجتماعي بشكل عام، والعمل الخيري بشكل خاص.

- دعوة ذوي الخبرات والكفاءات في مجالات العمل الخيري المتنوعة لعمل لقاء تلفزيونية ومسجلة معهم يدلون فيها بما لديهم من جهود مشكورة ليعم نفعها والاستفادة منها للصف الثاني اللاحق من بعدهم.

وبعد: فقد انتهي ما يسَّر الله لنا جمعه وترتيبه، فنسأل الله -تعالىٰ- أن يكون القبول نصيبَه، وأن يرزقنا يوم القيامة بِرَّه وذُخره، إنه خير مسئول، وأكرم مأمول. وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد، وآل بيته الطاهرين، وأصحابه الغُرّ الميامين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

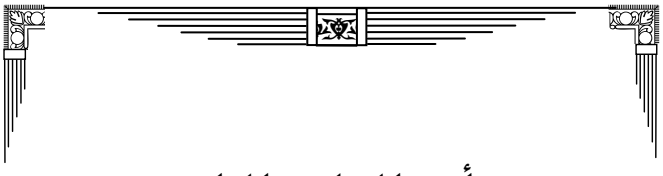

# أهم المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

- **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

- **أصول الفقه**، د. محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة، بدون طبعة ولا تاريخ.

- **إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق**، د. يوسف إبراهيم يوسف، كتاب الأمة رقم ٣٦، قطر، محرم ١٤١٤ه – ١٩٩٣مـ.

- **التربية المهنية والحرفية في الإسلام**، د. جمال محمد هنيدي، دار الوفاء – المنصورة، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، المؤلف: أ.د محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى، يناير ١٩٩٧م حتى مارس ١٩٩٨م.

- **التوريث الدعويّ**، د: مُحَمَّد مُوسَى الشَّرِيْف، دار الأندلس الخضراء للنشر

والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

- **الجامع الصحيح = سنن الترمذي:** للإمام الحافظ أبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي، المتوفىٰ سنة٢٧٩هـ تحقيق: العلامة أحمد محمد شاكر وآخرون، طبعة: دار إحياء التراث العربي– بيروت.

- **الجامع الصحيح = صحيح البخاري:** للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة البخاري، المتوفىٰ سنة ٢٥٦ هـ، تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا، طبعة: ابن كثير واليمامة ـ بيروت، الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

- **جدد شبابك بالتطوع**، إعداد/ محمد هشام أبو القمبز، بحث منشور علىٰ موقع صيد الفوائدwww.saaid.net (٢٠٠٦ – ٢٠٠٧م).

- **خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة**، تحقيق: قطب عبد الحميد قطب، دار الاعتصام – القاهرة، ١٤٠٩هـ.

- **روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية**، د. راغب السرجاني، دار نهضة مصر – الجيزة، الطبعة الثالثة، (يونيو ٢٠١١م).

- **زهرة التفاسير**، د. محمد بن أحمد بن مصطفىٰ المعروف بأبي زهرة (المتوفىٰ: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي. بدون طبعة وتاريخ.

- **سنن ابن ماجة:** للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، المتوفىٰ سنة ٢٧٣ هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار الفكر – بيروت.

- **سنن أبي داود:** للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفىٰ سنة ٢٧٥ هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، تعليق: كمال يوسف الحوت، طبعة: دار الفكر ـ بيروت.

- **سنن النسائي «المجتبىٰ»:** للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المتوفىٰ سنة ٣٠٣ هـ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، طبعة: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

- **شعب الإيمان:** للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ أبو بكر البيهقي المتوفىٰ ٤٥٨ هـ، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد ط: الرشد – الأولىٰ ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣م.

- **صحيح ابن حبان «الإحسان»:** للإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، المتوفىٰ سنة ٣٥٤ هـ. بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، المتوفىٰ سنة ٧٣٩ هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة – الثانية ١٤١٤هـ.

- **صحيح مسلم:** للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القُشَيْري النيسابوري، المتوفىٰ سنة ٢٦١ هـ. تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية.

- **العبادة في الإسلام**، د. يوسف عبد الله، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).

- **العبودية،** للإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (المتوفىٰ: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

- **العمل التطوعي في السنة النبوية،** رسالة ماجستير، إعداد الطالبة رندة محمد زينو، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين - قسم الحديث الشريف، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

- **العمل الخيري دراسة تفصيلية تاريخية،** د. محمد صالح جواد مهدي، بحث منشور بمجلة"سر من رأىٰ"، كلية التربية جامعة سر من رأىٰ – المجلد ٨ / العدد ٣٠ / السنة الثامنة/ تموز ٢٠١٢م.

- **عون المعبود شرح سنن أبي داود،** المؤلف: محمد أشرف بن أمير، أبو عبد الرحمن العظيم آبادي (المتوفىٰ: ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.

- **فقه المعاملات،** د. عبد العزيز محمد عزام، مكتب الرسالة الدولية للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٧-١٩٩٨مـ.

- **كنوز من السُّنة،** للشيخ محمد الغزالي، الناشر: دار نهضة مصر – القاهرة، الطبعة الأولي ١٩٩٨م.

- **مجالات العمل التطوعي في السنة النبوية،** للدكتور محمد عبد الرازق أسود، منشور في حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة – مصر، ٢٠١١م.

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (المتوفىٰ: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي – القاهرة، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م).

- **المستدرك علىٰ الصحيحين:** للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفىٰ سنة ٤٠٥هـ، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولىٰ، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

- **المسند:** للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، المتوفى سنة ٢٤١ هـ. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وجماعة، طبعة: مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

- **المعجم الكبير:** للإمام أبى القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، طبعة: مكتبة العلوم والحكم ـ الموصل ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

- **ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده،** للدكتور يوسف عبد الله، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م).

- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،** أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

- **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج،** المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي العباس شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأخيرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- **النهاية في غريب الحديث والأثر،** مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

- **الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق،** د. عكرمة سعيد صبري، دار النفائس – الأردن، الطبعة الأولى، (١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م).